بين نيران الهوى

أول رواية مصرية تبدو بثوب فخم

بقلم

السيد المصلح

دبلوم فى الزراعة

عضو معهد إيبس بكمبرلى بانجلترا

مصلحة التجارة والصناعة

obeikandl.com

المؤلف

obeikandl.com

الإهداء

إلى التي أنارت لي الطريق وصيرتني رجلاً

إلى والدتي المحبوبة

السيد مصلح.

obeikandl.com

شكر

إلى حضرات الأدباء الذين تفضلوا ، فأولوني شرف قراءتهم لروايتي ، وتقريظهم إياها أقدم إليهم شكراً لايأتي الظن على مداه ، وإني مع تقديري لكلماتهم التي بعثت في عزما قويا لاخراج الرواية ونفثت فيها معنى ساميا أقدم معذرتي عن عدم نشر تلك الكلمات مرجئا ذلك إلى الطبعة التالية

١ يناير سنة ١٩٣٣ م
٤ رمضان سنة ١٣٥١ هـ

المؤلف

obeikandl.com

(١)

غرام فى الهواء

مرت الساعات بطيئة والدقائق أشد بطئاً فقضيت ليلة قابعة وأنا شارد الفكر ، تائه البال أحاول التفكير الهادىء أتلمس من هدوئه قبسا من الأمل ، وشعاعا من الرجاء ، وأتخيل فى ذلك الظلام الحالك « زيزى » ذلك الملاك الذى هبط على قلبى فألهمه الحب ، وأنار له طريق الغرام ؛ وما زلت أفكر وأفكر حتى انفرجت لمة الظلام عن جبين الفجر فتنفست الصعداء ، وتصدرت النافذة لأستنشق عبير الجو الممتزج بأريج الأزهار وأشهد الفجر وهو يوزع خيوطه فى أجواز الفضاء ... تأملت تلك الطبيعة الهادئة بما فيها من أشجار مورقة وأزهار متفتحة ، وطيور صادحة ، فلم أهنأ بكل ذلك ، ولم تستطع تلك المناظر الخلابة أن تبعث فى نفسى الاحساس بما فيها من جمال وروعة بل شعرت بانقباض نفسى ، وضيق صدرى ، وأحسست ان فى قلبى جرحا يكاد يدميه ....

فرجعت القهقرى ، والتمست فراشى ثانيا لأعود الى مناجاة حبيبتى ، والتحدث الى طيفها :

رأيتها للمرة الأولى فى يوم اشتد قيظه فهجر الناس ديارهم يلتمسون الخلاص من لفح الجو ولهيبه خلال الحدائق الغناء ، وعلى ضفاف النيل حيث الهواء الطلق ، والنسيم العليل ....

كنت قريدا فى منزلى أزيل عن نفسى ما بها من سأم بالعزف على « البيان » تارة ، وسماع الماكى أخرى حين دق فى أذنى صوت الجرس الخارجى فسرعت للقاء القادم فاذا فتاة تبلغ الثالثه عشرة من عمرها جميلة الوجه . واسعة العينين ، ذات أهداب طويلة ونظرات ساحرة

تقدمت إلى وقد علت جبينها الوضاح حمرة الخجل قائلة أين الآنسة .... ؟

فأخبرتها أنها رافقت أمرتى الى الخارج فزفرت زفرة عميقة ، وأطالت الى النظار ثم قالت يلوح لى إننى تعسة الحظ فكثيرا ما سعيت لمقابلتها ، ولكننى أخفق دائما ، فهل لسيدى أن يدعها تنتظرنى غدا . فأومأت اليها بالايجاب ، ثم انصرفت

أتى الغد وحضرت «زيزى» لمقابلة شقيقتى ولما تأملتها هذه المرة تبينت فيها الجمال الذى أنشده ، والعادات التى أتطلبها ؛ فهى رشيقة القد ، جذابة الملامح ، تفوق بنات جنسها فى رقة حديثها ، وعذوبة صوتها ، وهدوء أخلاقها ..

مضت بعدذلك أيام دون أن أحس تغييرا فى مجرى حياتى ،

الى أن تعددت زياراتهـا لنا ، وتـكررت نظراتها لشخصى ، فبدأت أشعر بالحياة ، وأتذوق طعمها بعـد أن كنت محروما منها ، بدأت عاطفة الحب تجيش فى صدرى تخفق لها قلبى ، واطمأن اليهـا فؤادى وتلقتها نفسى الظمأى الى مناهل الحب الصافية بالارتياح والشعور بالسعادة

وطال بى التفكير فى حبيبتى الفاتنة ، وشعرت بنشوة الحب تغمرنى ، وتملأ شـعاب نفسى ، فأصبحت أميـل الى العزلة والانفراد لكى أستطيع فى هدوء الوحدة وسكونها أن أسامر ذلك الملاك وأناجى خياله

كانت « زيزى » ذات نفس شاعرية فياضة العواطف ، متدفقة الشعور ، إبتسامتها وادعة وجمالهـا ساحر . شمائلهـا نبيلة وقلبها طاهر ، وهذا ماحرك فى نفسى تلك العاطفة الـكامنة ، فاندفعت فى حبها حبا صادقا عميقا ، ومرت الأيام وأنا أشعر ان حبى لها يزداد قوة ورسوخا ...

ولـكن... رباه ما الذى دهانى فأصبحت أفضل الانزواء فى عقر دارى دون أن أغشى تلك الأماكن الصاخبة التى كنت أهو فيهـا وأعبث ، أين ذلك المرح الذى كان يغمر حياتى ؟ أين ذلك الشباب الذى كانت تتقد شعلته فى نفسى ؟ أين ؟ أين ؟ لقد ذهب ذلك كله ، وبدلت من مرح الشباب ولهوه نارا اشتد

فى القلب لهيبها ، وزاد اشتعالها ، وعاطفة جامحة ملكت النفس ، واستولت على اللب . وهاهوذا قلبي قد ذاب من ألم الحب ، وتباريح الهوى . فهل لى أن أبوح لها بحبي ، أو أفضى اليها بذات نفسى ، أو أحدثها بلغة فؤادى ، علها تفهم كنهها فتترجم ما يعبر عنه ضميرها. من لى يارب بتلك القوة التى أستطيع بها أن أبدد ذلك السكون ، وأزيل هذا الصمت . من لى بتلك الشجاعة التى تهيء لى الحديث معها . والتودد اليها

ولكن . . . ما الذى يدعونى الى ذلك ما دامت نظراتها الساحرة ، وحديثها الجذاب ، ولغتها الفاتنة تنم عن دخيلة نفسها وما دامت ترعانى باخلاصها ، وتتولانى بعنايتها ، وتسعدنى برؤيتها ... لا . لا . سأترك الحديث معها الآن حتى تهيأ له فرص مقبلة ، وأزال مرور الأيام ما بيننا من كلفة . . .

وعلى الرغم من ذلك فكلما هممنا لحديث الحب انعقدت ألسنتنا ، وخفقت قلوبنا فيخوننا المنطق ، ويعروننا الحياء ، وتغنينا النظرات عن العبارات وظل الأمر كذلك ردحا من الزمن الى أن انفرجت شفاهنا عن حديث الحب الرائع . وتهادينا زهر الهوى نضيرا . فامتزج روحانا ، واتحد قلبانا ، وتغلغل الحب فى عروقنا ، وصار كل منا يرمى فى الآخر نصفه المكمل له . لاتصفو حياته ولا تتم رغباته ، دون أن يظفر به ويسعد بلقائه

ذیزی

obeikandl.com

(٢)

اللقاء المنتظر

لم يطف الكرى بعيونى ، ولا هدأت لوعة فؤادى حين ذكرت أن الغد هو موعد لقاء « زيزى » فقضيت ليلتى ساهرا أروض نفسى على الصبر وهى تتمرد ، وأحاول أن أهدىء ثورة قلبى وهو ماض فى خفقانه واضطرابه الى أن ظهر النهار ، وسطعت الشمس فأنارت الأرجاء . . عند ذلك أطلقت العنان لرجلى سعيا الى اللقاء ، فقطعت الطريق مسرعا لايطرق سمعى غير حفيف الاشجار ، وأزيز الهواء ، الى أن وصلت الى المكان المعهود قبل موعد اللقاء بساعة أو بعض ساعة . . . وهناك أخذت انظر الى فاتنتى بعين الغيب فتارة أتمثلها وردة ناضرة بين الورود ، واخرى ألمحها كوكبا ساطعا فى سماء الآمال ، ثم أعود بنظرى الى الطريق علها تكون قادمة . . . حتى أبصرت شبحا مقبلا فهرعت اليه ، وشوقى يغالب اضطرابى . ولما تبينته وقفت دقات قلبى ، وتولتنى الدهشة ، وصرت فى حيرة من أمرى . رأيت فتاة اخرى تقترب منى قائلة أأنت « سوسو » فأجبتها نعم فقالت حمدا لله فقد أمكننى القيام بخدمة صديقتى

« زيزى » تفضل ياسيدى بتناول هذه الرسالة فهى خاصة بك ، ثم عادت من حيث أتت .

تناولت الكتاب بيد مرتجفة . وما كدت أفضه حتى تمشى قلبى بين جوانحى ذعراً ورعباً . . وأحسست ناراً موقدة يصلاها فؤادى المعذب فتلفت يمنة ويسرة أتلمس ماحولى فاذا بى امام صحراء جرداء هواؤها لهيب ، وفضاؤها جحيم . . . اظلمت الدنيا فى عينى وضاقت رقعتها ، وسدت أمامى منافذ الأمل . فلم أجد ملجأ يعصمنى مما أنا مقبل عليه من لوعة وأنين . . رباه : أين أنا ، وأين «زيزى» منى ، وما معنى ذلك الكتاب ؟

من زيزى الى سوسو :

معذرة يا «سوسو» فقد حملت على ألا اراك . . ولكن هذا لايمنعنى من أن أقدم لك حبى واخلاصى ، فانا لك باقية ، ولعهدك حافظة مدى حياتى ، وذكراك ماثلة فى مخيلتى حتى الممات ... سامحنى يا « سوسو» فهذه مشيئة الله ، وان افترقنا هنا ، فسنلتقى فى السماء

زيزى

ما كدت آتى على آخر هذه الرسالة ، حتى جمدت جمود الميت ، وبكيت بكاء الطفل الرضيع . . لقد كان وقع ذلك الخبر على شديدا ، فارتعدت هولا ، واضطرب فؤادى خوفا وهلعا ،

من شدة ما سألاقيه من ألم البعد . وقسوة النوى ...

ما هـذا يا «زيزى» أبعد ما أشـعلت فى قلبى نار الحب والغرام تبتعدين عنى ؛ وتدعيننى فريسة الهجر أقاسى شدته ؛ وأعانى آلامه ؟ . . وارحمتاه لى يخيل الى اننى سأتعذب مادمت باقيا فمثلى كمثل الطائر يجرحه الصياد ؛ ويتركه يتبرى ألما !

«زيزى» أتبتعدين عنى ؛ وتؤثرين هجرى ؛ وأنت تعلمين أنك روحى التى أعيش بها ؟ أواه ! ماذا جرى حتى تغادرينى وحيدا بعد أن القيت اليك زمامى ؛ وأسلمت لك نفسى . ووهبتك روحى !

رباه ... ما أشد تلك النار التى أحس لهيبها فى صدرى . وتكاد تأتى على قلبى ...

رباه ! ... لقد عجزت عن الاحتمال . فاوزعنى منك الصبر . وأشملنى بعطفك وحنانك فانى لرحمتك ورعايتك جد فقير . ثم عدت أدراجى وأنا راجف القلب حزين .

(٣)

المرض

ابتسمت الأيام ، وصفت الليالى . وعند صفو الليالى يحدث الكدر .. هال الحساد ما نحن فيه من عز مقيم . ونعيم دائم فقاموا يمكرون صفونا . ويبددون شملنا . وسلكوا فى ذلك كل مسلك . فأصاب سهمهم . ونجحت مكيدتهم . حتى استحكم بيننا الهجران . . وما كنت أظن يوما مهما أوتوا من براعة فى الكيد . ومهارة فى الايقاع . أن يبوءوا بهذه النتيجة السيئة ... !

نذكرت حالى . وما آل اليه أمرى . . فعاودتنى الذكرى الأليمة التى تصدع لها قلبى . وذابت لها نفسى . فقد بليت بهجر الحبيب . وشماتة الأعداء . وكلاهما نكبة لايتحملها ضعيف مثلى ... ها أنذا أصل الليل بالنهار لاتكتحل عيناى بالكرى . ولا يهنأ جسمى بالرقاد . أمضى الساعات الطوال وأنا أتقلب على مهاد من الجمر . وكلما صبرت نفسى زادت هلعا وحزنا وأنى لى الصبر بعد ما جرى وهو مما تزول لهوله الجبال ...

انطوت أيام تتلوها أخرى . . وأنا اعلل النفس بالآمال

عسى أن أصادف فاتنتى فيعود إلى مرحى حين تكتحل عينى برؤيتها . . . همت على وجهى فى الخلوات والمتنزهات أناجى الطيور نهاراً . وأشكو همى للقمر والنجوم ليلا . . فما زادتنى تلك المناجاة الا آلاما وأسقاما ، ولكم بحثت عن السعادة والهناءة فأعيانى طلابهما . ولم ألمس لهما أثرا . فبرمت بطول الأيام والليالى . وزاد بى الجوى والشوق والحنين لتلك النائية عنى .. وأعيانى البحث عما يسرى همى . ويزيل أشجانى . . . فما احتجاجى بمخفف كربى . . وما انزوائى بمستطيع أن ينسينى حبى . وأنى لمثلى أن ينساها . وقد ترعرع حبها فى قلبى . ورسخ هواها فى أعماق نفسى ! أنى لمثلى أن ينساها وقد أحببتها بكل ما فى الشباب من قوة وحرارة ؟؟

كلا لن أنساها مهما قست على . ومهما هجرتنى . لأنها روحى التى لا أحيا بدونها وان فرقتنا الأيام . وباعدت بيننا صروف الزمان...

كل شىء يثير فى نفسى أجمل الذكريات عن عهود لقائنا الباسمة . فهاهو ذا النسيم يذكرنى برقتها . وهاهى الأطيار تعيد إلى أذنى بعض ما تمتعت به من جمال صوتها . وعذوبة حديثها . . وها هى مناظر الطبيعة تذكى فى نفسى الحنين لرؤيتها ...

ثارت الذكريات كلها مرة واحدة • وأحاطت بى وأنا الضعيف المسكين • فصرت أئن وأتوجع من ظلمها وقسوتها • الى أن زادت علتى • واشتدت أثقالى ومتاعبى • فأصبحت طريح الفراش أصلى نار الفراق • وأعانى آلاما مبرحة لاقبل لى باحتمالها..

إستدعيت والدتى الطبيب • فلك الله أيتها الام الرءوم مالى ولطبيبك هذا والداء يعجزعنه الدواء ••• من ذا الذى يستطيع أن يداوى النفوس المكلومة • ويشفى النفوس المرزوءة ؟ من ذا الذى يستطيع أن يؤلف بين قلبين أدماهما الجوى وشتت شملهما النوى ؟

لا شىء فى الوجود يستطيع ذلك الا القدرة الالهية •• فلا يزعجنك يا أماه كآبتى الدائمة • وسآمتى المستمرة • ونفسى الخامدة • فسيزول كل ذلك • وأعود كما كنت أتقد عزما ونشاطا •••!

وأنت أيها النطاسى البارع مهلا.مهلا. فان مقدرتك سوف تتخاذل أمام علتى الكامنة • وعبقريتك ستضمحل امام نفسى الذائبة • فان شئت أن تخفف لوعتى وشقائى فما عليك الا ان تبدى النصح لأولى الأمر منى وتشير•••!!

فابتسم الطبيب لقولى • واقترب منى يجس نبضى • ويفحص عن دائى • وهو فى سكوت عميق • ثم اطرق ولاحت على وجهه امارات الارتباك لأنه لم يجد فى جسمى مرضا يستحق العلاج والدواء • وكأنه فهم حديثى الأول وعرف علتى • وكامن دائى فأشار على بان ألتمس الهواء النقى فى احدى المدن الساحلية ترويحا للنفس مما ألم بها

ولكننى أبيت ذلك قائلا لا استطيع الرحيل مطلقا • فروحى هى التى تتألم • ونفسى هى المعذبة • وبراحتهما يستريح جسمى • وتعود قواى ..

تركنى الطبيب وانا مصر على رأيى • ووالدتى تتألم وتأس لامتناعى • وما زالت فى تألمها • وانا فى عنادى الى ان جاءنى كتاب التعيين فى الاسكندرية • وعندها أذعنت وانا مرغم ••

فهلا يا اماه لا تبكى فهاهو ذا ابنك البار بك سوف ينزل على إرادتك • ويذعن لأمر طبيبه • ويرحل عن تلك الديار التى لاقى فيها نعيمه وسروره • إلى ديار اخرى لا انيس له فيها الا ضوضاء المصطافين • ولا رفيق له سوى الوحدة المرة • والكآبة المستمرة ••• وأقسم ما روعة البحر وجلاله • ولا رقة الهواء واعتداله • ولا بهجة الثغر وجماله بقادرة على أن تبدد افكارى وآلامى • وتزيل من خاطرى شبحا هو كل آمالى وأحلامى

(٤)

السفر

دقت ساعة الرحيـل . وأذن مؤذن الفراق . وهأنذا بين عيون تدمع • وقلب يتفطر • وفؤاد يذوب • وزمان لا يرحم •• ليهنأ الأعداء فقد نالوا ما تمنوا من تفريق شملنا • وتمزيق حبال مودتنا • ليهدءوا بالا • وليطمئنوا خاطراً • وليقروا عينـا • ولـكن ليعلموا ان الدهر قلب • والليالى من الزمان حبالى يلدن كل عجيب ••• وربما سمح الزمان بالتلاق بعد الفراق • وجمعنا بعد الأسى وطول البعاد

هأنذا اليوم اودع مسـقط رأسى تاركا فيه من ملـكت فؤادى . بعد ان ذقت المر حلواً فى سبيلها . واستمرأت العذاب شهداً فى حبها . فسلمتها زمامى وملـكتها قيادى

اودعها . والقلب مفعم بالحسرات . والعين ملأى بالعبرات . اودعها مذعنا لمشيئة القدر . . وكأن مصر ضاقت بمـا رحبت فأبى الزمان القاسى الا ان يطوح بى الى تلك الجهة النائيـة بعيداً عمن كانت غذاء روحى . وريحانة صدرى . وثمرة فؤادى ليهنأ الدهر والعاذلون فقد شنوا على حربا عوانا . وحشدوا لى

سو سو

جيوش السعاية والنميمة وما زالوا يحشدون . ويبالغون فى الكيد والدس والوقيعة، وانا ادافع دفاع الأبطال وأناضل نضال المستميت حتى خررت صريعا فى ميدان الحب والغرام . . فانا البريء المقتول . أنا المحب المعذب . انا الذى صارعت الزمان ورجاله ، والدهر وصروفه . . فان كنت غلبت فى الأولى فسأغلب فى الأخرى . وان بعادى لا يوهن من عزيمتى . ولن يفت من عضدى . وسأبقى على حبها . وأعيد الكرة بعد عودتى سالما باذن الله

أذن القطار بالمسير فازدادت دقات قلبى . ثم تحرك فهاج شجونى وأثار كامن أشواقى . وأجرى مدامع مقلتى غزيرة حارة فقرحت اجفانى . وبعثت فى نفسى دفين الأسى والألم

وجم الحاضرون حين شاهدوا ذلك المنظر القاسى، فأخذوا يهمسون ويتغامزون وانا سابح فى بحار الحب ، غارق فى لجج الهوى ، وشخص الحبيبة ماثل أمامى يثير أحزانى ويجدد آلامى ...

وما زلت فى مقعدى ، والناس من حولى ينظرون علهم يظفرون منى بما يقفهم على جلية أمرى ... ولكن أنى لهم ذلك . وأنا الضنين بأسرار حبى وغرامى أن يطلعوا عليها أو يقفوا لها على أثر . . ؟

وبينما كنت أسرح طرفى فى السماء إذ بزغ القمر فى بهائه ولآلائه ، فخيل إلى أنه الحبيب أسعدنى برؤيته . بعد طول غيبته ، وأنعم بلقائه ، بعد هجره وجفائه .

أطلت النظر إلى البدر فذكرنى نوره بنور جبينها الوضاح ، وأعاد إلى ذكرى ذلك الوجه الفتان ، فأشتعلت بين جوانحى نار زاد لهيبها ، واشتد سعيرها ، فأمطرت الأرض وابلا من دموعى ، وهتف لسانى بالشكوى معبراً عن آلامى وشجونى ، وبقيت كذلك حتى اختفى القمر ، وكأنه أشفق على من طول النظر إليه ، إلا أنه لم يودعنى عند اختفائه كما كان يودعنى الحبيب ساعة فراقه ، وأنى للقمر مهما علا مكانه ، وارتفع شأنه أن يصل إلى مكانة غادتى الهيفاء ، وفاتنتى الحسناء ، فانه لم يخلق إلا على مثالها ، وكأنه قد استمد بهاءه من نور وجهها ، واقتبس ضوءه من جمال صورتها ، وقد زينت حبيبتى بالعقل والعاطفة والشعور ، أما هو فقد خلت طبيعته من الحس والجاذبية ، وكل مميزات الحياة .

(٥)

فى ظلال الثغر

وصل القطار إلى حيث مقر الوظيفة فسرعان ما تأبطت أمتعتى ، وسرت بها إلى أحد الفنادق ، وبعد أن استقر بى المقام خرجت أجول فى شوارع المدينة لأخفف عن النفس بعض ما أصابها من تشتيت الشمل ، وفرقة الأحباب ، فشاهدت ما أثار أحزانى ، وأذرف مدامعى ، رأيت كثيراً من الخلان كل يتأبط ذراع حبيبته ، وقد سارا يستنشقان عليل النسيم ، ويتجاذبان أطراف الحديث يظلالهما الحب الصافى ، وتحوطهما السعادة من كل مكان . .

ذكرنى هذا بأيام خلت كأنها أحلام ، وشهور مضت كأنها أعوام ، ارتشفت فيها أفاويق الحب الطاهر ، ومتعت نفسى بطيب الجوار ، وسماع أحاديث الغرام المحبوبة ، وهنا لم تقو قدماى على حملى فجلست على أحد المقاعد مغشياً على لما أصابنى وما زلت أفكر تارة ، وأعلل النفس أخرى حتى توارت بالحجاب ، ثم قفلت راجعا إلى مأوای ، واضطجعت على فراشى ألتمس النوم فلا أجد اليه سبيلا ، وأنى لمثلى أن تكتحل عيناه بالرقاد ، وقلبه مشتعل ، وفؤاده حزين ....

وأقمت على تلك الحال مدة من الزمن إلى أن قرأت فى الصحف اليومية أن فى القاهرة بعض وظائف فنيـة لأمثالى ، فسرعان ما حررت طلبا بالحاق باحدى هـذه الوظائف منتهزاً تلك الفرصة لأقيم بالقاهرة على مقربة ممن أفديهـا بروحى ، وأضحى فى سبيلها بحياتى .

(٦)

العودة

حزمت أمتعتى وركبت أول قطار يصل القاهرة ، وخيل إلى أن كل من رآنى يعلم بما أنا فيه من فرح واغتباط ، فأنتحيت ناحية وأخذت لى مكانا « ديوانا » خاليا من الركاب حذر العيون وخيفة النظرات ...

وبقيت وحيداً فى سفرى إلى أن وصل القطار محطة دمنهور ، وهنا شاركتنى فى هـذا المكان آنسة كأنها ملاك حوى كل صفات الجمال ، وتوج بتاج من العفاف والهيبة والجلال ، خلتها لأول وهلة ذلك الحبيب الذى أحبه من كل قلبى ...

ولا تسلنى كيف كان شعورى حينذاك . فقد اضطرب فؤادى ، واغرورقت عيناى بالدموع وتلعثم لسانى فلم يقو على

النطق ، وصرت أسرح فيها الطرف منعما النظر فى هذا الجمال الفتان ، دهشا لتلك المصادفة التى جمعت بينى وبينها على غير إنتظار ..

ولكن سرعان ما تبدد ظنى ، وضاع أملى ، وخاب رجائى ، واتضح أن نظرى خاننى وأنها ليست ضالتى التى أنشدها ؛ إلا أن قلبى قد إنعطف نحوها لأنها تشبه من أهوى ...

فكرت ، وفكرت طويلا كيف أبدؤها بالحديث ؛ وكلما هممت بذلك إنعقد لسانى ، وخانتنى قواى ؛ ولكنها أبت إلا أن تنقذ الموقف فابتدرتنى قائلة « هل للسيد المحترم أن يخبرنى عن موعد وصول القطار إلى القاهرة » ..

كم كان فرحى وسرورى لذلك الصوت الرخيم الذى ذكرنى بتلك النغمات الموسيقية التى كثيرا ما شنفت أذنى بها ألفاظ « زيزى » ، فأجبتها على الفور ، وبعد هنيهة قدمت اليها مروحتى لأن ذلك اليوم كان شديد الحر فتقبلتها بقبول حسن ، وأثنت على عواطفى ، وصارت تقلبها ذات اليمين ، وذات الشمال معجبة بصنعها الدقيق ، وتنسيقها البديع ، وهنا وجدت الفرصة سانحة للحديث ، فأخذت أحدثها وتحدثنى حديثا شائقا ممتعا ، وماوصل القطار إلى محطة القاهرة حتى تم التعارف بيننا ، وأصبح كل منا على علم بعنوان الآخر ..

وقف القطار فهمت إلى حقائبها فأعطيتها أحد الحمالين ؛ وسرت معها إلى فناء المحطة ؛ وأجلستها فى سيارتها الخاصة ، ثم مددت إليها يدى مودعا ، فصافحتنى قائلة أود ألا تنسى الزيارة ؛ أنا فى انتظارك بعد غد ، وعند ذلك افترقنا وبافتراقنا عادت إلى ذكرى « زيزى »

(٧)

أين الحبيبة ؟

دفعنى الشوق الملح ؛ والرغبة الحافزة إلى رؤية تلك الحبيبة التى طال أمد فراقها ، وامتدت أيامه ، وزادت قسوته وآلامه ، فبادرت بعد أن وطئت قدماى القاهرة إلى امتطاء سيارة ؛ وجلست فيها متكئا على حقائبى وأمتعتى ، مفكرا فيما أقوله عند لقياها ، وعند تقديم الهدية التى أحضرتها لها ....، وما زلت غارقا فى بحار أفكارى ، حتى وصلت السيارة إلى دارها .... ولكن أبت الأيام إلا أن تصر على عنادى ، فقد وجدت المنزل خاليا إلا من البواب الذى أخبرنى أن من أهوى طيفها قد تركت مع ذويها هذه الدار إلى أخرى لايعلم مكانها

انهار صرح آمالى ، وتحطم ما شيدته من الآمانى ، فلم

أعمالك نفسى ، واندفعت فى البكاء والعويل كأننى الثكلى فقدت وحيدها فهى تبكيه بدل الدمع بالدماء . . . وكيف لا أسكب دم القلب بدلا من دمع العين أسفا على تلك الآمال الخائبة ، وحسرة على هذه الأمانى الضائعة ... أضعت مركزى الثابت فى سبيل مركزى الموهوم ، وحضرت إلى القاهرة لأكون بجوارها ، فاذا هى فى مكان لايعلمه إلاالله ...والمصيبة العظمى ، والطامة الكبرى بعد هذا كله أن تكون قد باتت حليلة فى أحضان غيرى . .

أللهم إنى أصبحت أفضل الفناء على البقاء ، والموت على الحياة ... ألاأيتها السماء أمطرينى بوابل من أحجارك ، ويأيتها الأرض هيئى لى مكانا فى جوفك وقرارك ، فلا خير فى حياة سداها الكوارث ، ولحمتها المصائب

دهر يعاندنى ، وزمان يكيدنى ، وحبيب يهجرنى ، وأعداء يحسدوننى ، وأخلاء يلومونني ؛ فأنا المعذب البائس المسكين ... ولكنى رغم كل هذا سأتدرع بالصبر ، وأتجلد للمصائب ؛ وأقف أمام الحادثات رابط الجأش ، ثابت الجنان . لا يتسرب إلى قنوط ، ولا ينتابنى يأس ، (إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

عدت بعد ذلك إلى منزلى ، وقد سر أهلى لحضورى بقدر

أسفهم على تركى عملى ، على أننى أخذت أنتحل المعاذير ، وأموه عليهم مدعيا أنى نقلت إلى وظيفة أثبت مركزا ، وأكبر مرتبا ، . .

ثم تركتهم بين شك ويقين ، وآويت إلى مضجعى لأنفرد بنفسى ... فأن فى الوحدة سلوى لروحى المعذبة . وعزاء لقلبى الحزين .

(٨)

ميمى

مضت الأيام تلو الأيام وأنا أجد فى البحث عن « زيزى » حتى اضمحل جسمى ، وتهدمت قواى من ألم الذكرى ، وشدة التفكير بدون جدوى . . ولما أعيتنى الحيل ألقيت سهمى . وفوضت أمرى للواحد القهار ، ولولا أن الله غمرنى برعايته . ووفقنى لعمل حكومى مشرف يتناسب ومؤهلاتى لكنت الآن أرزح تحت عبء ثقيل لاطاقة لى باحتماله ، وهو ضياع المستقبل والفشل فى الحب . . الا أنه أشفق على شبابى الضائع فعوضنى خيرا . وجمعنى « بميمى » تلك الفتاة الطاهرة الوديعة التى عرفتها أثناء عودتى من الأسكندرية .. وليعذرنى القارىء

ميمى

obeikandl.com

إذا كنت قد ضربت صفحا عن ذكر الفرص والمناسبات التى أتيح لنا أن نلتقى فيها لضيق المقام ،..

لم أجد سبيلا للراحة ، ولا وسيلة للسلوى إلا أن أكون بجوار « ميمى » التى كانت لاتألو جهدا فى العمل على سرورى واسعادى .. فتارة كانت تعزف على « البيان » فتسحر نفسى بحسن توقيعها ، وتطرب قلبى بجمال نغماتهـا ، فأسموا الى عالم الخيال ، وأحلق بروحى فى سماء الآمال ، وأخرى كانت تبدد سآمتى ، وتزيل همومى بأنواع رياضتهـا العصرية إذ أنهـا أخذت من الحضارة الغربية ، والتمدن الحديث بأوفر نصيب فكانت فتاة « سبور » بمعنى الكلمة ..

وهكذا كنا نمضى معظم اوقاتنا بالرقص على نغمات «التانجو» « والفوكس تروت » هنيهة ، وبالشطرنج . والبنج بنج أخرى. حتى أصبحنا أكثر من صديقين بل أعز من أخوين شقيقين، فكلانا لاهم له سوى التمتع برؤية الآخر . ..

(٩)

ذكريات

أتى يوم اشتد فيه القيظ فلم تحتمل لهيبه ، فعرضت على « ميمى » نزهة خلوية ، فقبلت ، وما هى الا دقائق معدودة حتى كنت بجوارها داخل سيارتها ...

وكم أفزعنى ذلك الموقف الرهيب الذى ذكرنى بجلسات « زيزى » المشابهة لهذه الجلسة ، فأمتلأت عيناى بالدموع ، وآلمتنى قسوة الذكرى ، ولكننى تجلدت ، وقاومت نفسى .

سارت بنا السيارة فى ظلال الصمت والسكون لم يبد أحد منا حركة ، ولم تفترشفاهنا عن ابتسامة أو كلمة ... ولولا نظراتها التى كانت تصوبها إلى من حين إلى آخر ، لقلت إنها قداستحالت تمثالا لاحس به ولا حياة ، وكذلك كان شأنى ...

أقلقها ذلك الصمت الرهيب فأطالت النظر الى علها تقرأ مافى سريرتى ، ولكنها عجزت عن كشف حقيقة أمرى فانبعثت قائلة ، مالك يا «سوسو» فما عهدت فيك الا المرح والسرور ؟ أين تلك الكلمات العذبة التى كنت تلقيها على مسمعى كل يوم ؟ أين تلك الفكاهات والملح التى كثيراً ما كنت تزحم مجلسنا

بالضحك منها ؟ ما بك يا « سوسو » ومالك لا تحدثنى ؟ ألست أنا « ميمى » التى تود أن تعمل لهناءتك ، وتحب أن تسعد برعايتك ؟ فقلت لها لاشىء ، ثم أملت رأسى إلى الجهة الأخرى .

وما زلنا على هذه الحال حتى وقفت بنا السيارة أمام رمز مصر الخالد « هرم الجيزه الأكبر » فأجتذبتها من ذراعها برفق ، وسرنا صامتين فى خطوات وئيدة ، تحيط بنا أبهة الطبيعة وروعتها ، وجلالها ورهبتها من كل جانب ، وينظر الينا من ذلك البنيان الشاهق « خوفو » ملك مصر العظيم كأنه يذكرنى بتلك الجلسات الطويلة التى كثيراً ما كنت أجلسها أنا وغادتى على مقربة من مخدعه فيحوطنا بعظمته ، ويرعانا بمجده ، ويتوجنا بآيات الخلود ، كأنه يذكرنى بتلك الأيام الهنيئة التى مضت وكأنها لم تكن ...

وما زلت غارقا فى أفكارى حتى قطعتها « ميمى » بقولها هيا بنا الى تلك الخلوة لنستريح قليلا ، ولنتجاذب أطراف الحديث سويا ، فما كدت أنظر إليها حتى اغرورقت عيناى بالدموع إذ هى عش « زيزى » الأمين الذى رأيت فيه سعادتى وسأتذوق منه الآن شقائى وتعاستى ، على أنى أجبتها بقولى هلم اليها ...

هناك فى تلك الخلوة الطبيعية استرعى نظر « ميمى » ذلك الرمز الأثرى الذى قمت بحفره ومعى « زيزى » من مدة . . . فقرأته دهشة ، ثم أطالت نظرها الى فوجدتنى شاحب اللون ، مضطرب الفؤاد ، مشتت الأفكار فصمتت قليلا ثم قالت يلوح لى أن تلك الخلوة لم تخلق الا لتكون مأوى لعاشقين يطفئان فيها جذوة حبهما بعيدين عن الرقباء ، فى كنف الطبيعة الهادئة والخلود العظيم . . . أنظر . هاهوذا رمزهما ثابت ثبوت الاهرام فهل ياترى سيستمر حبهما مثلما سيخلد اسمهما ؟ أم سيكون سببا لتعاستهما ، ومنبعا لشقائهما ، فزفرت زفرة حارة ، وقلت . ربما يكون سببا لشقائهما يا « ميمى » فهذه هى النتيجة النهائية للحب دائما . . .

لم تحاول « ميمى » إحراجى بأسئلتها لأنها كانت مشغولة باقتطاف نرجسة حائرة وسط تلك الصحراء الفسيحة المترامية ثم ابتسمت قائلة هاك يا « سوسو » نرجسة ظهرت أمامى كأنها تحثنى على أن أقدمها اليك تذكاراً لتلك الجلسة الخلوية ، ثم أدنتها من فمها وقبلتها قبلة ساحرة ، ودنت منى فوجدت أنفاسها تمتزج بأنفاسى وسهام عينها تخترق أركان قلبى . ويداها تعبثان بخصل شعرى . وما مرت ثوان على ذلك الموقف حتى شعرت بيديها حول عنقى . وشفتيها فوق شفتى . تمطرنى تقبيلا

وكأن عاطفتها قد غلبتها على أمرها ، فنسيت نفسها ، ونسيت أنها أمام شخص مغلق القلب ، وأن مفاتيح قلبه بيد غيره

تنبهت « ميمى » من نشوتها فعادت لمجلسها تبكى بكاء الثكالى ، فقلت لها علام البكاء ؟ فنظرت إلى بعين دامعة، وقالت تلومنى على دموع الظفر ، بينما أنت الآخر تدمع ، فأجبتها أجل أنا أشاطرك الدمع ، ولكن شتان بين الحالتين ، فأنت تدمعين دموع الظفر ، أما أنا فأسكب من عيونى دموع الذكرى ...

ثم أخذت أقاوم عاطفتى بعد ما ثارت واهتاجت فلم أفلح ، بل إزدادت زفراتى ، وتصاعدت أناتى ، وثارت مدامعى ....

فنظرت الى « ميمى » فى خشوع ورهبة وصمت . . . ثم قالت « سوسو » لقد عرفت الآن كل شىء ، أنت عاشق . . أنت صاحب ذلك الرمز المنقوش الذى كنت أحسبك معصوما منه ، وبعيدا عنه ، . فأجبتها على الفور أجل يا «ميمى » ... هو أنا ذا الصريع الموتور ، والعاشق المهجور .. وقد ذكرنى موقفنا هذا « بزيزى» تلك الحبيبة الخالدة ، ذكرنى ببهائها ورقة عاطفتها عند ما كانت تسند رأسها الصغير على صدرى ، فأتيه فى عالمين من سحر وفتنة ... ذكرنى بتلك المواقف الرائعة التى كنا ننعم بها ، ونسرح الطرف فى صفحات الجمال المنشورة

أمامنا .. ذكرنى بأحاديثها الغرامية الممتعة ،وعواطفها الفياضة أيام كنا نسبح فى بحار الهوى سويا فأغمرها بحبى، وهى تظلانى بوفائها .. فما أهنأ تلك الأيام التى مضت كأنها أحلام ..

فنظرت إلى بحسرة ، وقالت ومن هى تلك الفتاة التى تحاول هدمى ! ومتى كان لقاؤك الأخير لها يا« سوسو » ؟ ..

فقلت هى «زيزى » كريمة المرحوم م٠٠ بك٠٠٠ وهى من أكرم الأسر أصلا وغنى ، وحسبا .. لها عينان واسعتان يحيط بأهدابهما السحر ، وشعر أصفر جميل مشرب بحمرة ، وقوام معتدل رشيق ، ومحيا جميل فاتن ... رأيتها آخر مرة منذ ستة شهور ، وكنت فى منزلى بين أهلى وعشيرتى ، رأيتها فى أبهى حللها ، وأجمل زينتها حتى خيل الى أنها عروس ليلة زفافها ٠٠ فأخذت أرمقها خلسة وأنا معجب بسحرها ورشاقتها ، مأخوذ بجمالها وفتنتها ، سابح فى بحار الأفكار التى لاساحل لها ولا مرفأ ، حتى إستدعانى الخادم لمقابلة أحد الأصدقاء فتنبهت من سكرتى ولبيت النداء بعد أن ألقيت عليها نظرة كلها عطف وود ، وحنان ، فقابلتنى بمثلها ، فيارب لماذا لم تلهمنى أن ذلك اللقاء هو لقاء الوداع ؟ لماذا لم تلق فى روعى أنى لن أراها بعد الآن حتى أزود نظرى من محاسنها ، وأشبع نفسى من جمالها، لماذا يارب أقامى كل هذه المتاعب والآلام ؟ . ولكن لاحول

لى ولا حيلة وهأنذا مذعن لقدرك وإرادتك ، مفتقر لعفوك ورعايتك ...

خرج الصديق يا «ميمى» فعدت ثواً إلى مجلسى الأول ، فوجدته خاليا ممن كانت تنيره ، وتملؤه بهاء وبهجة ، ..أظلمت الدنيا فى عينى وأحسست كأن عاصفة تثور فى فؤادى ، وأنى لى الهدوء والاستقرار بعد ما فارقتنى روحى ، وتركت مكانها خاليا يذكرنى بحسن قوامها ، وجمال طلعتها ...

أمضيت مع أسرتى مدة قصيرة خلتها دهرا . ثم تركتهم ، وأخذت أجر أذيالى إلى مخدعى .لأخلو بنفسى أسامر النجوم وأناجى القمر،وأنعم بجميل الذكريات تطوف بخاطرى عن حبيبتى ومالكة قلبى. . . . . .

والآن. . وقد مضت تلك المدة الطويلة وأنا أتلمسها فى كل واد فلا أقف لها على أثر . . يئست من الحياة وملت البقاء وفكرت فى ألانتحار لأستريح من ذلك العناء . وطالما هممت بتنفيذ عزمى لولا بقية من الأمل تسلطت على فكرتى. وانتصرت عليها . . . . .

ثم تحركت فى نفسى الذكرى فآلمتنى وانحدرت الدموع من عينى غزيرة فياضة . فرثت «ميمى» لحالى ورقت لشكواى وشاطرتنى حزنى وبكائى ، ثم تقدمت إلى وقالت

« سوسو » لا تأس فقد وهبنى الله لك لأنسيك همومك . وأبدد أحزانك ، فدعها ولا تفكر فيها لأنها ليست جديرة بعطفك عليها ؛ ولا وفائك لها ؛ وحسبك أنها غرة جاهلة ضحت بجميع الوسائل التى تجعلها سعيدة فى حبها . هنيئه بغرامها . فعاملها مثل ما عاملتك . وأنظر إليها كما نظرت اليك . وأحرى بك أن تمقتها . وتحتقر ذكرها . . . فقلت لها كلا يا « ميمى »

إنها وفية مخلصة حافظه لعهدها . ثابتة على حبها . ولعلها قد أكرهت على هجرى . وسدت أمامها الطرق لمراسلتى . . فابتسمت إبتسامة صفراء وقالت لعمرى نحن فى زمن الحريه . ولسنا فى الجاهليه . . ولكن أخبرنى أما زلت تحبها الى الآن ؟ فقلت أجل بل أعبدها . فتأوهت المسكينه وقالت . . . إذن فلن أستطيع التغلب عليها ، ثم تهدج صوتها ، وسالت عبراتها وطوقت عنقى بذراعيها ؛ وقالت متوسلة ....

« سوسو » بربك استمع لنداء قلبى .. إننى أحببتك منذ زمن . وازداد حبى لك على مدى الأيام رسوخا وثباتا . . ولن أستطيع أن أخمد جذوته ، أو أطفىء لهيبه ، فهل أنا واجدة منك قلبا يعطف على ، ويشفق على حبى ؟ هل انا واجدة ذرة صغيرة من قلبك أعالجها بحبى وأشغلها بغرامى ؟

« سوسو » مالك صامتا لا تجيب ، إننى أعهد فيك النبل

والرقه ، أتهون عليك آلامى وأحزانى ؟ أتهون عليك شقاوتى وحرمانى ؟ لا ياسوسو فأنت كريم نبيل ، وانا لم أكن أقل من « زيزى » حسبا ولا غنى ، بل انى أفوقها بما أحفظه لك بين طيات فؤادى ، وفى اعماق نفسى من إخلاص ووفاء . سأريك السعادة فى حبى ، سأذيقك طعم الهناءة بغرامى ، سأحاول أن أنسيك تلك الخائنة التى لم ...

ثم أنابت زفراتها لتعبر عما عجز عنه صوتها ، ، ودموعها لتنم عما يكنه قلبها ...

تأثرت لحالها ،، ثم امسكت بيدها قائلا حسبك يا « ميمى » هيا بنا فقد هجم الليل علينا بجيوشه ، وسرنا فى خطوات وئيدة حتى وصلنا السيارة ، وهكذا إنقضى ذلك اليوم وانا أتلظى بين نارين نار « زيزى » ونار « ميمى »

(١٠)

القبلة القاتلة

دقت الساعة ثمانى دقات متواليات إيذانا بدنو ميعاد « ميمى » فوقفت أمام المرآة فرحا مغتبطا أصلح من هندامى ، وأنظم رباط رقبتى الى أن أتممت زينتى ، ثم خرجت مسرعا حتى وصلت إلى إحدى المسارح والتى كنت على موعد فيها مع « ميمى » وبينما أنا سائر بين الألواج وبعضها راع نظرى فتاة أنيقة تدور

ذات اليمين مرة واليسار أخرى ، فدنوت منها وشخصت اليها فاذا بها « زيزى » حبيبتى الغالية ، وفردوسى المفقود فقفزت إليها منادياً بعطف وحنان « زيزى » حبيبتى أين أنت ؟ وكيف حالك ؟ . ولكن . يالهذا الفتور الذى قابلتنى به؟ ويالتلك الصدمة التى داهمتنى بها،لقد وقفت أمامى مدهوشة كأنها تجهلنى ولا تعرفنى ، وتركتنى بعد أن أشاحت بوجهها عنى .. وقفت حائراً فى بحار الأحزان والأفكار ؛ ثم ما لبثت أن فاضت مدامعى ؛ وتصاعدت زفراتى فأحنيت رأسى الى الارض كالذليل لعل ذلك يخفى معالم الأسى التى غمرت وجهى ثم تابعت سيرى مضطربا كمن به مس من الجن شاخصاً الى السماء أشكو الى الله آلامى وهمومى قائلا :

أهكذا يارب سلتنى بعد ما أخلصت لهـا الحب وأصبحت قطعة منى ؟ أهكذا تتبرأ منى ومن معرفتى ؟ بعد ما أفنيت روحى فى غرامها ، وغذيت نفسى بعشقها ... أظن لا. ثم تلفت حولى وأخذت أجول بنظرى علها تشعر بجرمها فتتبعنى آسفة نادمة ، ولكنها لم تفعل ...

دخلت المقصورة بحالة يرثى لها فرأتنى « ميمى »وكانت فى إنتظارى فأخذت تسائلنى وتتوسل إلى أن أفضى اليهـا بما فى صدرى ، ولكننى لم أقم لكلامها وزنا ولم أعبأ به الى أن رفعت الستار عن شاب أحب فتاة وأحبته وتبادلا الاخلاص ؛

فتاة أنيقه تدور ذات اليمين مرة واليسار أخرى

obeikandl.com

وتعاهدا على الوفاء فهام بهـا وولع حتى أصبح يشعر انها هى الحياة ، فأخـذ يبنى قصور الحب والغرام ، ويشـيد ألأمانى والآمال . . . ولـكن المسكين فجع فى حبه فما كانت وعودها إلا كالهباء ، أو كالنقش على الماء ، حنثت بعهده ، وتنحت عنه لتلحق بغيره ، فأصبح لايحتمل ألهدوء ، ولا يستطيع الهجوع بعد أن خاب أمله ، وفشل فى حبه ، وتـكشفت الحقيقة المرة أمامه فاذا به أتون مستعر لاتطفأ ناره ولا يخمد لهيبه ..

مضت أيام وقلبه يصلى بنيران الحب حتى أخذت صحته فى الاضمحلال ، وقوته فى الضعف فأصبح سقيما عليلا هزيل الجسم ضعيف البنية ثم مات ضحية الخيبة والفشل

ساد السكون ، وتجاوبت فى أنحـاء المسرح الزفرات ، وتصاعدت الأنات من النظارة اللذين كانوا يبكون بكاء الأطفال، فنظرت إلى « ميمى » فاذا بها فى عالم آخر ، رأيتها تبكى وتنتحب حتى استنفدت العبرات مجهودها وضاع رشدها ..

ألا لعنـة الله على تلك الليلة الليـلاء التى كابدت فيها مـن الأسى ما أدمى فؤادى ، وخارت من اجله قوتى . .

وسرعان ما خرجت باحثا عن الخادم لاحضار قليل من الماء لأعيد إليها صوابها ، ولـكن يأبى القدر إلا أن يضرب فى الضربة تلو الضربة .. اذ رأيت منظـرا ما أقسـاه على قلبى الجريح ، رأيت « زيزى » تلك الفتاة التى احبها مع شخص فى المقصورة المجاورة لمقصورتنا

بحالة مريبة . رأيتها بين أحضانه يقبلها وتقبله بينما الجميع يبكون ويتألمون. إضطربت نفسى، وخارت قواى فوقفت أمامهما مدهوشا لا أقوى على الكلام او الحركة ، لحظه رهيبة أحست هى فى خلالها بجرمها فوقفت أمامى تنظر الى نظرة أسف وإشفاق . ولكم وددت ان القى عليها نظرة تأنيب ، أوأرشقها بسهام كلماتى جزاء لها على سوء فعلتها، ولكن لم اظفر الا بالدموع دموع الآمال المحطمة ، والأحلام المسلوبة . تركتهما ، وسرت فى خطوات متثاقله دون ان القى عليهما نظرى أوأودعهما بكلمة ، وكنت بين سعير متأجج فى صدرى ، ونار مشتعلة فى ضلوعى، وبكاء تقرحت له عيونى ، إلى ان وصلت الى «ميمى» وما كادت ترانى حتى صاحت «سوسو» حبيبى ما بك ؟ فكتمت عنها ما يساورنى من الألم، ثم توسلت إليها ان ترحم نفسها ، وترحمنى معها بمغادرة هذا المكان .

(١١)

الغدر شر الطباع

ولينا وجهنا شطر منزلها حتى بلغناه ، ولما دخلته عدت أنا وحيدا فريدا أندب حظى وسوء طالعى إلى أن وصلت إلى دارى فأرتميت على فراشى غائصا فى لجج من الهواجس والهموم ، وأخذت أعانى تأنيب النفس ووخزات الضمير ثم هتفت قائلا .

والتفكير ، إلا أنى مللت هذا النوع من التسلية فطفت فى ممرات الحديقة ، وكان الجو جميلا ، والهواء عليلا إلى أن وصلت إلى حوض المياه فوجدته مزدحما بالأطفال ومربياتهم وألفيته مملوءاً بالسماك المتعددة الألوان فكان لذلك المنظر البديع أكبر الأثر فى الترويح عن نفسى ، وما هى الا برهة صغيرة حتى أسرع فؤادى فى خفقانه فتقدمت فى طريق مدخل الحديقة ، ومددت بصرى فاذا « ميمى » نازلة من سيارتها ، ولما تلاقينا هتف كل منا باسم الآخر ، ثم سرنا فى صمت إلى أن وصلنا إلى مقعد منعزل تحت شجرة وارفة وهناك جلسنا ...

لقد كانت « ميمى » جميلة حقا ، رائعة المحاسن ، كاسية بثوبين من فتنة ودلال ، يشرق وجهها إشراقا يسحر العقول ، ويأخذ بمجامع القلوب ، نظرت إليها ، فحار بصرى وتاه فكرى فى ذلك الجمال البارع الفتان وكان ذلك داعيا لأن يسود الصمت بيننا ، ولولا أنها ابتدأتنى قائلة كيف حالك يا « سوسو » أهدأ بالا ، وأحسن حالا منك بالأمس . فقلت لها أجل ، وأنت كيف حالك ؟ فقالت سعيدة بلقائك ، هنيئة بالاجتماع بك ، فشكرت لها عاطفتها ثم أطرقت مليا وقلت غداً سترحل أسرتى إلى مصيفها ، وأكون هنا وحدى بحكم الوظيفة وظروف العمل ، فتهلل وجهها بشرا ، وامتلأ قلبها سرورا ، وقالت حينئذ تكون معى فى الجيزه ، فنقضى سويا

زمنا طويلا نسعد فيه بطيب الجوار ، ونهنأ خلاله بحسن اللقاء لانفترق دقيقة واحدة فأى سرور يغمرنى ، وأى نعيم يشملنى لو قبلت ذلك ، ماراًيك وماذا تقول ؟؟

فقلت وأنا مهتاج النفس أجل . نعم لانفترق أبدا «ياميمى» ولـكن ..

فأعادت كلمتى الأخيرة «ولـكن» . ولـكن ماذا يا «سوسو» فقلت لاأحلم بذلك الحلم الجميل .. فأخذت تدلانى وتقول حبيبى سوف لانفترق أبداً . ثم هزت كتفيها وقالت هل أنت تحبنى وتبادلنى هواى وغرامى ؟ أظن لا ، لأن «زيزى» متسلطة على أفـكارك فأنت مفتون بهـا ..

ماكدت أسمع ذلك القول حتى شعرت أن خنجرا ماضيا نفذ الى قلبى فقلت متوسـلا « ميمى » بربك لاتتعرضى لها ، ولا ترددى ذكرها.

اطمئنى يا « ميمى » فقـد ذهبت ولن تعود .. وهذا ما جعلنى أميل اليك بعض الميل . فقالت وافرحتاه . . ألست تخدعنى ؟ فقلت كلا . . فزفرت زفرة عميقة ، وقالت شكرا لك ياربى فقد لان قلبه ، ثم نظرت إلى نظرة والهة وقالت ، ألست واهمة ؟ بربك أعد على مسمعى أنك تحبنى ؛ أعد عليه تلك الـكلمة التى تثلج صدرى ، وتبدد آلامى « سوسو » إن حبى لك لا يقدر ، وغرامى بك لايوصف ؛ فأنا لك على الدوام ، وحبى

لك هو أقصى آمالى ، ونهاية أحلامى ؛ ثم ضمتنى إليها . وقالت بربك أتهوانى ؟ ! إننى فى حاجة لأن أسمع هذا القول اليوم وغدا بل على الدوام . . . « سوسو » مالك تبكى ؟ أحبى لك يبكيك ؟ أتنازلك بهذا القول يؤلمك أم لعلك قلت غير ماتعتقد خشية إيلامى وتعذيبى ؟ كن رحيما يا «سوسو » فبكاؤك يضنينى ثم أمسكت كفى وقالت « سوسو » ألا يحق لى أن أسألك عن سبب بكائك ؟ أليس من واجبى أن أكفكف دمعك وأخفف لوعتك ؟ ألا يجب على أن أتوجع لك فأشاطرك الأمى ؟ وأمزج دموعى بدموعك.. ؟

فقلت لها « زيزى » فصرخت وتأوهت قائلة واحسرتاه أما زلت تفكر فيها ؟ بربك ان ذكراها تثير نار الغيرة فى قلبى فدعها من أجلى فقلت لها إننى يا « ميمى » منكود الطالع أخوض معارك الحياة ؛ وأقاسى أهوالها ، وما أبرح أتعذب وأتألم . لقد كنت أحسب ان أيامى الغابرة قد انتهت ، وأن ذكراها قد زالت . . . ولكن هاهى تعيد الكرة ثانيا . . .

« ميمى » انظرى الى تلك الفتاة الجالسة على حوض المياه ؛ ذات الرداء القرمزى ، والشعر الأصفر الذهبى ...

انظرى الى ذلك الوجه الذى تعلوه صفرة الموت .. انظرى اليها ، وقد تجسم الغدر على محياها ... أرأيتيها جيداً ، هى « زيزى » حبيبتى . . وهاهى توجه نظرها نحونا لترى من ذا

الذى نطق باسمها ...

رأتنى « زيزى » ففركت عينيها بيديها كأنها تحثهما على كشف الحقيقة ، فما كادت تعرفنى حتى تذكرت تلك الأوقات السعيدة التى قضيناها سويا ...

تذكرت تلك الأيام الماضية التى ارتشفنا فيها كئوس الحب معا ، وشربناها حتى الثمالة ... فأقبلت على وقد انفرجت شفتاها كأنما تحاول الكلام . . وهى لاتستطيعه . . . تقدمت نحوى ، وأخذت تتفرس فى ملامحى ثم ابتسمت وقالت ... آه أحقا أنت « سوسو » ؟ هل أنت ذلك المعبود الذى أعشقه ؟ هل سمح لنا الزمان باللقاء بعد طول الفراق والشقاء ؟ ... وهنا مدت ذراعيها وطوقتنى ولكن ... ما كدت أشعر بأنفاسى تخالط أنفاسها وحتى تذكرت ذلك الشخص الذى ملك عليها قلبها وقاد زمامها . . تذكرت وعودها وحنثها فى ايمانها . فنزعت نفسى من بين يديها وصرخت قائلا ابتعدى عنى أيتها الشقية . . . اليك عنى فلست لك ، ولست لى ... عجبا أتتركين ذراعه لتلقى بنفسك بين ذراعى ياللعار ، ويالفضيحة . أهكذا بلغ بك الفجور ، وطوحت بك النذالة ... حسبك يا «زيزى» ماجرى ، ولتعودى إلى ساحة من أخلصت له الحب والوفاق . . فتأوهت وقالت « سوسو » كن رحيما على فى حكمك فانك لاتدرى الحقيقة ...

ثم سقطت على الأرض ، وجثت على ركبتيها أمامى ، وأخذت تتوسل إلى ، ولكن كيف يجدى معى هذا التوسل ، وقد انقلبت إلى وحش ضار يريد ان يفترس غريمه . كيف اصغى لقولها ، او اقيم وزنا لتوسلاتها بعد ما تمثل لى غدرها ؟

وقفت ساكنا لأبدى حراكا برهة من الزمن ، ثم صرخت قائلا أيتها الفتاة الخائنة لاتجثى أمامى ، وأرحلى عنى حتى لاتؤذى عينى برؤية مثال الخيانة والغدر ونقض العهود . . إبتعدى ياصاحبة العهد المتين والحب الصادق الأمين ، يامن كنت تحبيننى حتى النهاية ..

« زيزى » ما عهدتك كذلك . لقد طعنتينى طعنة نجلاء ، واستطعت أن تمزقى ذلك القلب الوفى الذى تفانى فى حبك وهواك ولكن . . اذهبى فقد صفحت عنك ، وسأحاول أن أنسى جرمك لأنى أحببتك بالأمس ، وما زلت أحبك حتى الغد .. ولكن سيكون حبى لك منذ الآن مقرونا بازدرائى واحتقارى .. فهيا إنهضى إلى مكانك لتستقبلى ذلك الشخص الذى إرتضيتيه لك خليلا . . هيا هيا .. فصاحت «سوسو» .. انك قاس لاترحم .. إننى بريئة طاهرة ، وسقطت مغشيا عليها لاتكاد تسمع ولا تعى ..

وهنا تنبهت لوجود « ميمى » فاضطرب فؤادى وإهتاجت نفسى فنظرت يمنة ويسرة ولكنى لم أجدها ...

مسكينة تلك الفتاة التى بنت صروح الحب فى شهور وهدمتها فى لحظة ، ماذا ستصنع المسكينة الليلة بعد ما رأت عدوتها أمامها ، ومنافستها على مقربة منها فوارحمتاه لها ، ومن أين لها الصبر والعزاء والسلوى ؟ ..

وانحنيت ثانية نحو « زيزى » وقبلت جبينها وانصرفت مسرعا لاألوى على شىء ...

(١٢)

آلام الوحدة

فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً خرجت من مقر عملى ؛ وطفقت أعدو فى الطريق مخترقا الشوارع والميادين المترامية ، حتى ركبت الحافلة « اوتوبيس » لتوصلنى الى ميدان المحطة لتوديع أسرتى . وما هى إلا خمس دقائق قضيتها فى التمتع بمشاهدة أفرادها حتى سمعت دويا عظيما أعقبه رنين مفزع . ما هذا ؟ . . إنه الناقوس يدق .. رباه ان صوته رهيب يخيفنى وينذرنى بقرب الرحيل .. ماذا أصنع بعد أن صرت وحيداً .. لعمرى ان الوحدة ستقتلنى ؛ والتفكير العميق سيودى بى ، فرحمة يارب ..

تقدمت اليهم ، وعانقت أخى وأخواتى ، وصرت أنظر اليهم والدموع تتسابق من عينى إلى أن تحرك القطار فتحرك

قلبي رهبة وحزنا . ثم تراجعت إلى الوراء بعد ما القيت عليهم آخر نظرة . . وما زلت ألوح لهم بمنديلي ؛ وأشيع الفطار بنظراتي حتى إختفى ، ولم أعد أرى شيئاً فرجعت حزينا . والزفرات تكاد تحرقني وتفتت كبدي ..

ما كان لقلبي الضعيف أن يحتمل ذلك العذاب ، وما كانت نفسي ألواهنة لتقوى على احتمال هذه الآلام . . فقصدت الأماكن الخلوية لعل نسيمها يعزيني، ومناظرها الجميلة تسليني .. وما زلت أنتقل من جهة إلى أخرى حتى حملتني قدماي إلى مكان مشرف على النيل طالما شربت فيه كأس الحب مترعة ، ونعمت فيه بأحاديث الغرام لذيذة ممتعة ..

تزاحمت في خاطري الذكريات ، وانتابتني الهواجس والأفكار، فركت في نفسي كامن الحزن والأسى فقلت (رباه) هاهي الأحزان قد تعددت ، وهاهي « زيزي » قد ابتعدت ، فالى من أشكو حالي ليخفف بلواي ، وإلى من أتحدث ليزيل شكواي ... لقد إنتهى كل شيء ولم يعد إلا هذا المكان الذي ذكرني بذلك العهد المتين . . ذكرني بها وهي جاثية أمامي بمشهد من هذا النهر تقسم يمين الاخلاص والوفاء . . أي فتاتي لو كنت تعلمين ما أقاسيه من العذاب ، وما أتحمله من ضروب الهم لفراقك لأشفقت على ذلك الشباب الزائل ، وتلك النفس المعذبة ...

«زيزى» تعالى واسمعى دقات قلبى وهى تنبض باسمك ، تعالى واسمعى أنات نفسى وهى تردد ذكرك ، تعالى وانظرى كبدى وهى تتفتت لهجرك . . إيه ياحبيبتى ألم تسمعى نداء قلبى المعذب ؟ . ألم تسمعى صوتى الضعيف ؟ أظن لا . فالمسافات البعيدة التى بيننا تبدده ، والبون الشاسع بين ما يكنه قلبانا يفسده ، فما أقساك وأقسى قلبك على ضعيف مثلى ، لايفتأ يهتف لسانه باسمك فى كل لحظة ، ويردده بين حنايا فؤاده ترديداً مؤثراً . .

أيتها الفتاة الخادعة مالك وللحب ، والحب يتبرأ منك ومن أمثالك اللاتى لايرعين العهد ، ولا يحفظن المواثيق . . أين أنت من الهوى الصادق وهو تاج يتوج أميرات الحب بتاج من الاخلاص والوفاء . .

ها . ها . ها تحبيننى ، تتألمين لفراقى ، تتعذبين لبعدى . فيالك من ماكرة . لقد إستطعت أن تنفذى سهام لحاظك فى قلبى ، وأن تسلطى على شرك حبك فوقعت أسيراً فى حبائلك . فأنا المحب المسكين . . أنا العاشق البائس التعس .

أواه ، كلما حاولت ابعاد طيفها من خيالى ، أو نزع حبها من قلبى خانتنى قواى وعواطفى ، فأنا أحبها للحب ، ويخيل الى أننى سأحبها إلى الأبد ، وسأذكرها ما عشت . .

فيأيها القلب ارحمنى من ذكراها المؤلمة . . ويأيتها العين

كفكفى دموعك الهاطلة فقد عجز جسمى عن الاحتمال .

عجبا أعلك عاطفتها وأنا لا أملك عاطفتى ! .. أتخمد نار الحب التى تأججت فى قلبها وأنا لاتخمد نار حبى ... أتنسى ذكراى ، وأنا أحتفى بذكراها وأضعها بين سحرى ونحرى ، هل أوتيت وهى فتاة ضعيفة من القوة والاقدام ما بددت به حبى ، وأنا أظل مسترسلا فى هواها الذى لاينتهى ... أما كفانى أنها أعرضت عنى ! لتبادل غيرى الهوى ، وتبث اليه الهيام .. أما كفانى تلك الخيانة بل ذلك السهم الذى صوبته الى صدرى ، وتركتنى أليف الأسى ، وحليف السهاد ...

أما آن لى أن ألقى عبء حبها عن كاهلى بعدما أثقلنى ..

نعم انمت ذكراها .. ولنزل سيرتها .. ولأوجه قلبى وعواطفى الى تلك الفتاة الطاهرة التى جرحت شعورها بغير ذنب ، وآلمت إحساسها دون جرم ، فلا ذنب لها الا أنها أخلصت لى وحفظت عهدى وتقربت منى ..

لك الله ياقلبى ما ذنب « ميمى » ... وهى متفانية فى إخلاصها ، ثابتة وفية فى هواها وحبها ..

لأذهبن اليها من فورى وأقبل الأرض بين يديها ، وأعتذر لها عما بدر منى نحوها فليس من كرم الطباع ، ورفيع السجايا أن أبتعد عمن تخلص لى ، وأشغل قلبى بمن أضحت ملكا لغيرى ..

obeikandl.com

ذهبت اليها فاستقبلتنى جميلة هانم التى أرشدتنى على مكان فتاتها فاذا هى مضطجعة على فراشها وقد علت وجهها المشرق سحابة من الكآبة ، وبدت على جبينها الوضاح آثار الهموم والأحزان من جراء تلك الصدمة التى أصابتها بالأمس ..

رأتنى فهمت للقائى ، ولكن خانتها قواها .. فأسرعت اليها مشفقا ، ومددت اليها يدى قائلا ، استريحى ياعزيزتى ولا تكلفى نفسك مشقة القيام ، فابتسمت ابتسامة الضعيف المحزون وقد اغرورقت عيناها بالدموع وارادت الكلام فغلبها البكاء ثم قالت (إنى اهنئك بتلك المحبوبة وأرجو لكما دوام التوفيق وصفاء الأيام)

أكبرت فيها تلك العاطفة السامية ، ولم يسعنى الا أن أصارحها بما فى نفسى وما استقر عليه عزمى فدنوت منها قائلا « ميمى » ماجئت اليوم الا لأبسط لك حبى واقدم بين يديك عاطفتى واخلاصى ...

فأجابتنى ودموعها هاطلة « سوسو » بالله لاتثقل كاهلى بهذا المزاح ، ولا تطل الهزل معى فانى لا أطيق صبراً . هل هذه هى مواساتك لقلبى الجريح ، وفؤادى المعنى ؟؟ أى ذنب جنيته يا « سوسو » حتى تعمل دائما على إثارة شجونى ، وتجديد أحزانى ؟ أغرك منى شدة ميلى اليك ، ودوام تعلقى بك ؟ فأتيت لتزيدنى شقاء على شقائى ، وبلاء على بلائى ، كفى كفى فان

فامتزج الدمعان . . وصاحت ليت الحياه تدوم على
هـذا المنـوال

oberkandl.com

القلب أصبح لايحتمل تلك الضربات المتوالية ، وهذه الصدمات المتعاقبة ..

فأجبتها « ميمى » خففى عن نفسك ، ولا ترهقى هـذا القلب الطاهر ، فانى ماجئت إلا لأبث غرامى . فقاطعتنى قائلة و « زيزى » ! ! ؟ فقلت إنه من الجنون يا «ميمى » أن أشتهى مالا أملك ، أو أرغب فيما لا أنال ...

نظرت إلى بعد ذلك، وقد إنقشعت من وجهها تلك الغيوم، وإبتسمت إبتسامة الحائر بين الشك واليقين وقالت ..

رباه .. أصحيح ما أسمع ، أم أن هذا حلم وخيال ؟سبحانك ربى هل ذهبت أيام الشقاء ، وانقضت عهود الآلام ، وبدلت من تعسى سعدا ، ومن همومى هناءة ؟؟

إن كان حقا ما قد سمعت فما أجمـل الحياة وما أطيبها ، ثم عانقتها فعانقتنى ، وقلت لها ثقى ياميمى أن هذا اليوم هو أول أيام حبى لك فسجليه على صفحات القلب ؛ وانقشيه على حبات الفؤاد ، وهأنذا منـذ اليوم حبيبك المخلص ؛ وخليلك الوفى الأمين ثم تبادلنا القبـلات ، وأطلنا العناق ، وفاضت دموعى على صفحات خدها فبكت هى الأخرى فامتزج الدمعان .. وصاحت ليت الحياة تدوم على هذا المنوال ...

(١٣)

طارق غير منتظر

ساد السكون وهدأت الأصوات فارتفقت النافذة لأستمتع بجمال الطبيعة وأشاهد بهاءها وروعتها ، فوجدت السماء مزدانة بالنجوم المتلألئة الساطعة ، وأمامها القمر يسكب عليها من أشعته الفضية فكان منظراً جميلا سحر فؤادى ، وأخذ بمجامع لبى ثم ألقيت نظرى على الأشجار الباسقة ، والأزهار الناضرة ، والأغصان المورقة ، فسبحت فى العالم اللانهائى حينا ، ثم صرت أتسلى بتعداد الأوراق المتساقطات تارة ، وبسماع نغمات الكروان أخرى إلى أن سمعت الباب يطرق طرقا خفيفا ... تعددت أمامى التخيلات المخيفة ، وانتابتنى الأفكار السوداء ، وصعد الدم فى رأسى من شدة الاضطراب ، وبقيت فى مكانى فزعا مذعوراً . .

طرق الباب مرة أخرى فقمت كالمذهول ، وذهبت نحو الباب قائلا من الذى يطرق الباب ؟ فسمعت صوتا ضعيفا خافتا ينادينى بربك افتح ياسيدى ، فقلت ومن أنت ؟ فأجابنى ... لاتكثر من القول وافتح فأنا رسول محب أمين . . . تنفست الصعداء ثم فتحت الباب فاذا إمرأة عجوز اقتربت منى ، وقدمت

لى رسالة ثم اختفت ..

فضضتها فاذا هى بامضاء «زيزى» فثارت شجونى، واهتاجت نفسى، فمزقت الرسالة إربا اربا، ثم القيتها بعيدا عنى.. وبعد لأى تحركت فى نفسى ذكراها القديمة فأشفقت عليها وعلى رسالتها، وقمت تواً أجمع أوراقها المتناثرة وصرت أعالجها، وألصق أوراقها حتى تكون هيكلها فتلوتها ...

(١٤)

الرسالة

القاهرة فى ١٢ يونيه سنة ٩٣٢

ص • ب • (. . . . ؟)

أى « سوسو » :

لو كنت خبيرا عالما بحالى، أو استطعت أن تتصور حزنى وآلامى لأشفقت على هذا الجسم النحيل الذى شفه الغرام وأضناه النوى، حبك خالد فى القلب، وذكراك متسلطة على الفكر فوا حسرتاه على تلك الذكريات الجميلة التى أستعيدها بين حين وآخر فتملأ نفسى أسى، وفؤادى عذابا، وتزيد قلبى بك شغفا وهياما.

.. آه يا « سوسو » لو كنت تقدر ظروفى ، وما آل اليه أمرى بعد سفرك ، ما عاقبتنى ذلك العقاب القاسى الذى لاطاقة لى بحمله، وأنا الضعيفة البائسة أنا المحبة التعسة التى أفنت نفسها لتبقى على حبها فبالله رحمة بى ورفقا ...

حبيبى: لقد كانت حياتى الماضية مزيجا من الهم والأقدار.. لايرحم بؤسى راحم، ولا يشفق على حبى مشفق فأصبحت حزينة متوجعة أعلل نفسى بقدومك كل يوم وأنا أتقلب على أحر من الجمر ، حتى اذا أعيانى الانتظار أخذت أرعى سرب النجوم ؛ وأسامر القمر فتتمثل أمامى صورتك لأنه يشبه منك نورك وبهاءك ، وهكذا أقضى ليلتى وأنا أراك بعين الفكر والخيال فتذهب عنى سآمتى ؛ وتخف آلام وحدتى ..

آه ، ان ذكرى أمس تفزعنى ، ومشهد البارحة يخيفنى فكلما أتذكر حوادثه تذوب نفسى حسرة ؛ وتتفتت أحشائى كمدا . فمسكين أنت يا « سوسو » لقد خدعوك لتسلونى وكنت أنا ضحية ذلك الخداع فهجرتنى بل سلوتنى ، واتخذت تلك الفتاة التى كانت بجوارك أمس بديلة منى ؛ وأنا مازلت عذراء طاهرة .... فهلا ياقلبى فان الله رحيم بالعباد ..

حقا انها لعظيمة تلوح عليها أمارات العظمة والجاه ..جذابة جميلة .. فاتنة ، فان كنت قد تزوجتها فكن سعيدا بها ، منعما بقربها ...

أما أنا فأقسم لك بحق من ربط قلبينا برباط الحب أنى سأتذكرك فى كل وقت ، ومهما فرقتنا الأيام فذكراك خالدة مادمت على سطح البسيطة باقية ...

« سوسو »

لقد كنت أظن أن بى من القوة والشجاعة ما يساعدنى على تحمل مرارة البعد ، وقسوة النوى ولكن سرعان ما شعرت أنى واهمة فهمت شوقا اليك ، وجننت حبا بك ، فان كنت لم ترتبط بأى فتاة أخرى ، وقلبك ما زال ينبض بحبى فما أسعدنى لو عشت معك لنعيد أحلامنا الماضية ، ونرشف كئوس الحب مترعة صافية. أما إذا كنت قد نفضت عن قلبك حبى ، أو ارتبطت بغيرى ، فاستودعك عند من لا تضيع عنده الودائع .. ودم للمحبة المخلصة المتفانية

زيزى

ولما انتهيت من تلاوة هذه الرسالة المسهبة القيتها على النضد ، ثم جلست على المشرجع « الشزلونج » وبى من الأسى والحزن ما الله عالم به . أخذت أستعرض الماضى فوجدته مليئا بالمتاعب والآلام ، وها أنذا أصبحت سيء الحظ يفيض قلبى حزنا وألما ، وتحترق نفسى هما وكمدا فاللهم رحمتك ولطفك ..

وجدت أمامى رسالة « زيزى » فقرأتها مرة وأخرى ، ثم شخصت إلى الجهة الأخرى فوجدت مجموعة هداياها فاتقدت فى قلبى

شعلة الذكرى ...

أجل .. ذكرى طيبة ، وهدايا ثمينة فاخرة .. ولكن نفسى الحزينة لاتشعر نحوها بميل لأن عواطفى الثائرة قد خمدت ، فماذا عسى أن تعيد إلى صورها من دفاءة الماضى ما دام ليس لها قلب ولا عاطفة .

لقد كنت أحبها وأحن إلى عهدها . ولم يغب عنى طيفها طرفة عين ، كنت أرى صورتها فى كوب الماء الذى أشربه ، وفى الورود التى استنشق عبيرها ، وفى كل شىء تراه العين ، ويلمسه القلب ... أما الآن فوداعا أيها الحب يامن ضحيت فى سبيلك وفنيت ، ووداعا أيتها الذكرى يامن تعذبت من أجلك وشقيت ، ووداعا أيها الماضى يامن فاضت صحائفك بالهموم والأحزان ..

لك الله يا « زيزى » تكاتبينى الآن بعد ما علت الثلوج نيران قلبى ، أتفعلين ذلك لايلامى ، أم ترومين إلقاء شباكك لخداعى مرة أخرى ؟؟

كلا . كلا. فقد صحوت من غفلتى، وليست كلماتك المعسولة، ولا أحاديثك الساحرة بقادرة أن تغير عقيدتى فيك فانزلى فكرا أعرف به كيف الاخلاص أن يكون ، وشعورا يحس ما فى القلوب ، وما تنطوى عليه النفوس ، فاليك عنى وكفى بالماضى عبرة . .

ثم قمت من مقعدى بعزيمة ثابتة لاتلين ولا تهن وجلست إلى « البيان » وأخذت أعزف بعض القطع التى توافق ميلى وعاطفتى .. وما أتيت على آخرها حتى سمعت صوتا عذبا كتغريد البلابل قائلا فليبارك الله فى حبنا ...

إنتصبت واقفا ، وإذا « ميمى » جاثية على ركبتيها فتقدمت نحوها محتفيا مرحبا . . . فنظرت إلى ثم قالت عند ما وصلت إلى هنا وجدت الباب مفترحا ، وسمعت نغم « البيان » يشنف أذنى . فوجته ببطء حتى لاأقطع عليك تلك النغمة التى سبحت بنفسى ، وصعدت بروحى إلى عالم الخيال ، ثم استرسلت فى بكائها .

« ميمى » حبيبتى لماذا تبكين ؟ ثم أخذت أشاطرها البكاء ، وجثوت أمامها أحدثها عن حبى ، وأبوح لها بمكنون قلبى فقلت (أحبك يا « ميمى ») .. فنظرت الى نظرة طويلة ، وبقيت مدة وعيناها لاتتحولان عنى .. ثم قالت

وأنا أهبك قلبى ... روحى ...حياتى وهنا حملتها وأجلستها على أحد المقاعد فابتسمت إبتسامة كلها تيه ودلال رغم دموعها المتساقطة وقالت (أعبدك ياسوسو .. سأخلص لك فى حبى .. سأعمل على راحتك وهناءتك) ...

أضرمت لغتها الساحرة فى قلبى جذوة الحب بعد أن كانت شعلة ضئيلة ، فأخذتها بين أحضانى ، وضممتها إلى صدرى ...

اعتراها الحياء أولا ، ثم حاولت أن تتخلص منى ، ولكننى طوقتها بذراعى ، وانهلت عليها تقبيلا فتساقط شعرها ، واسترسل وراء ظهرها فخيل إلى أن بين أحضانى ملاكا هبط من السماء . .

وهكذا مكثنا هزيعا من الليل نتشاكى آلام الهوى ، ونبث لواعج الغرام ، حتى شعرت بالنعاس يداعب أجفانها فاستأذنت فى القيام ، ثم انصرفت لتستعد للرحيل غدا ، حيث تلحق أمها فى مزارعها .

(١٥)

ساعة الوداع

دنت الساعة الرهيبة ، وأذن مؤذن الرحيل فيا هول الموقف . . دموع تفيض وقلب ينفطر ، وكبد تضطرم ، وأحشاء تذوب . .

وقفت أقرأ ما فى وجهها وتقرأ ما فى وجهى ، وقد نابت مدامعنا عن حديثنا ولحاظنا عن ألسنتنا ، ثم ابتدرتها بصرخة صادرة من أعماق قلبى قائلا : أواه . . ، هل حقيقة ما أرى وما أنظر ؟ هل تودعيننى الآن وتتركيننى بين الحياة والموت إلى حيث الهواء الجميل ، والنسيم العليل والرياض الفيحاء ، بينما أنا أصلى لهيب الشوق ، واكتوى بجمرات الفراق فقالت :

أى « سوسو » إننى لا تلهينى عن ذكراك مناظر ، ولا

ميمى !!

بين شبح الفراق ، وساعة الرحيل

oberkandl.com

تشغلنى عنك أفكار وخواطر بل سأذكرك كلما هب النسيم ، أو تحركت الأغصان، سأذكرك فى كل لحظة من لحظاتى فأنت فى قلبى ساكن ، وفى فؤادى مستقر لا أغفل عن ذكرك ، ولا ألهو عن التفكير فيك. أنت معبودى وغايتى ، أنت أملى ومنتهى أمنيتى . . .

« ميمى » عاهدينى ألا تطأ قدمى مكانا كنا نجلس فيه سويا، أو أمتع طرفى بمنظر رأيناه معا، بل سأظل سجينا أسيرا وحيدا بين جدران دارى استعيد الماضى، واستعرض الأيام الغابرة ، ثم خنقتنى العبرات فتلعثم لسانى ، وخفت صوتى فلم يسمع إلا حنين يتصاعد من قلبى ، وأنين ينبعث من بين جوانحى ، ثم بكيت حتى ابتل وجهى بدموعى ..

عز على « ميمى » أن تسمع هذا الأنين المتصاعد ، وترى تلك العبرات المتدفقة فثارت ثائرة أشجانها ، وهطلت دموعها غزيرة ، وما زالت تبكى وأنا أبكى حتى دق الناقوس ففزعنا لذلك الصوت المزعج الذى يؤذن بالفراق وتصاعدت زفرات وتأوهات تسيل لها المآقى ، وتنخلع لسماعها القلوب . . .

فى هذه اللحظة سمعنا صفير القطار فتعانقنا طويلا، ثم تصافحنا وهى تقول لى سأبقى على عهدك ، وسأرعى حبك وودك ماحييت فالى الملتقى ..

ثم اختنق صوتانا وتحرك القطار ، وكل منا يشير للآخر

بمنديله بيد مضطربة وهزة غير منتظمة حتى توارت عن الأنظار..

تركتني « ميمى » مبهوتا تائها لا أدرى أين أتوجه ، وبعد مدة أفقت من سكرتى وعاودنى رشدى سرت وأنا أندب حظى التعس ، وأيامى المنكودة إلى أن أوصلتنى قدماى إلى منزلى ، وسرعان ما استلقيت على ظهرى خائر العزيمة فاقد القوى أغالب الأسى ويغالبنى ، وأصارع الجوى وهو يصارعنى ؛ حتى إذا ما انبثق الفجر وتنفس الصبح أخذ الكرى بمعاقد أجفانى الى أن أرسلت الشمس أشعتها من النافذة فأيقظتنى . .

فاتخذت من طيف « ميمى » خيالا أشكو اليه بثى وحزنى ؛ وأصف له ما أقاسيه من ألم الفراق ، وطالما تمثلتها أمامى فناجيتها بقولى

أى حبيبتى تركتنى ونار الجوى تأكل فؤادى أضرمها حبك ، وأشعلها فراقك فأنا أذوب شوقا اليك ، واحترق بنيران هيامى .

ليتنى كنت معك الآن فأطفىء هذا اللهيب المشتعل ، وأجفف تلك العبرات السيالة ؛ ليتنى كنت معك الآن فامتع نظرى بطلعتك ، وأشنف أذنى بحديثك ، ولكن قضى الله ولا راد لقضائه أن أكون بعيدا عنك ، وأنت بعيدة عنى . .

إيه يا « ميمى » لعلك وصلت بسلامة الله إلى مقرك ، ولعلك تذكرينى مثل ذكراى لك ، لعلك تعطفين على فتسمحى لذكرى

أن يمر بخاطرك ، وباسمى أن يتردد بين شفتيك ، لعلك تتجهين نحوى فتحملى النسيم سلاما يشفى هذا المنكود العليل الذى أضناه الشوق ، وهد قواه الفراق ، لعلك ترسلين إلى نسمة من نسماتك العاطرة لتنعش روحى ، وتبعث فى نسيم الحياة

أواه . . . يالطول سهرى ، ويالقسوة مصابى ، سأخاصم الكرى وأحالف السهاد ، سأترك طعامى وشرابى ، وسأهجر خلانى وأصحابى ، وسأتخذ من حبك تمثالا أضعه بين يدى فى يقظتى ومنامى ، وفى هجعى وقيامى لعله يشفى علتى أو يخفف من حسرتى أو يرفه عن نفسى بعض ما تحسه من الأسى والحزن وقسوة الذكريات .

الرسائل

(١٦)

من ميمى إلى سوسو

حبيبى ومهجتى سوسو ..

كنت أحسب أن ما تزودته منك سيروى ظمئى ، ويخفف من حسرتى ، ولكنى أراه قد زال بفراقك ، وأصبحت لاحول لى ولا قوة . . أرانى يا « سوسو » لست قادرة على حمل أعباء البعد والنوى . . وكلما أردت نفسى على الصبر زاد اليك

شوق وحنينى ، حتى خلتنى هالكة لامحالة ، وكيف ابقى فى الحياة ، وروحى بعيدة عن جسمى ... تلمست الصبر فلم اجد له طريقا . ونشدت السلوى فلم أر اليها منفذا . وصرت بين شوق يلتهب . وقلب ينتحب ...

حبيبى . لقد زهدت الحياة وما فيها لبعدى عنك . فلا يحلو لى كلام لايصدر من فيك . ولا يلذ لى مجلس لايحتويك .. وان كنت اطرب اليوم . فانما اطرب بصدى صوتك الذى لايزال يرن فى أذنى ... وان كنت أحيا الآن فانما احيا بشعاع منك يحمله الى تيار الحب ... على انى يا « سوسو » لا احاول ولن احاول ان اصف لك كل ما يكنه قلبى وفؤادى . بل اترك ذلك لتقديرك . ودم لمن تهواك

ميمى

---

(١٧)

من ميمى الى سوسو

حبيبى سوسو :

لاعجب اذا اهتز فى يدى القلم ، وارتعدت فرائصى من شدة الألم ، فقد طوقتنى الأيام بأغلالها وحاطتنى الشجون بأطواقها حتى حرمتنى رؤيتك ، ومنعتنى من التمتع بجميل طلعتك . . منعتنى من رؤية حبيب استخلصته لنفسى من الدنيا سلوانا ، وأخذته من الحياة روحا وريحانا ، وأقسم أنه

لن تنسينى عهدك الخطوب مهما كثرت ، ولا الشدائد مهما اجتمعت ، فأنت حياتى التى بها أحيا ، وروحى التى أغدو بها وأروح ...

سوسو ...

لقد امتلأت عيونى بدموع الشوق ، وأفعم فؤادى بلواعج الأسى لفراقك . . . فبربك أذكر لى كثيرا مما يجيش فى صدرك من لواعج الحب وتباريح الهوى حتى أنسج على خيوطها هناءتى وآمالى ، ودم للوالهة بحبك

ميمى

---

(١٨)

من سوسو إلى ميمى

حبيبتى ميمى ...

أكتب إليك اليوم ، وأنا بحال لا أطيق معها صبرا ، ولا أجد لنفسى عنها مصرفا .. فلقد طال على الليل حتى مللته ، وأظلم فى عينى وضح النهار حتى سئمته . فليت الليل باق حتى لا أرى وجه النهار ، وليت النهار يأتى فقد مللت هذا الظلام ليال طالت حتى كأن فجرها قد ضل سبيله ، أو كأنه لاسبيل إلى فجرها . .

فى جوانب هذه الليالى الطوال ، فى سكونها الرهيب ، وفى ظلامها الحالك أجلس وحيداً متفجعا أفكر تفكيرا مضنيا ،

وفى كل فكرة دمعة حتى كاد قلبى يفيض من الأسى، وأوشكت نفسى أن تذهب من الالم ، فيالى من طول همى ! ، ويالقسوة ماألاقيه من عسف الليالى وعنت الأيام !!!

ميمى :

لقد حال الدهر بينى وبينك ففرق بين طيفك وناظرى ، وباعد بين خيالك وخاطرى فيالهذا الخيال الذى يطول لرؤيته سهدى ! ويالهذا الطيف الذى تتصدع له كبدى ، ويالى مما بقلبى فانى أحس بين جنبى نارا ملتهبة ثائرة سيبقى حرها بين جوانحى إلى أن يجمعنا الله ... المحب

سوسو

---

(١٩)

من ميمى إلى سوسو

آمالى سوسو

الآن ياعزيزى تشرق الشمس من خدرها فتنير الكون ، وهأنذا استيقظ من نومى فلا أرى ذلك النور الذى تعودته .. ذلك النور الذى ينشر اشعته على فؤادى فيحييه ، فأين أنت ياسوسو وأين وجهك الجميل لتنير ظلمتى ، وتبدد وحشتى ؟ ، أين أنت وأين ابتساماتك العذبة انك بعيد عنى بعداً شاسعاً فلا تسمع أناتى، ولا تشعر بزفراتى فترثى لحالى ، وترحم آلامى..

آه : أحبك ياسوسو حب العبادة ، وفى هـذه العبادة فرحى وغبطتى أنت كل آمالى وجل أحلامى لاأريد شيئاً ، ولا أمل لى فى هذه الحياة سواك ، فمتى أعود اليـك حتى أحظى بسعادتى وأنعم بهناءتى والآن أرسل اليك بين طيات هذا الخطاب قبلة الحب الصادقة

ميمى

---

(٢٠)

من سوسو الى ميمى

أى حياتى . . .

فى كل يوم لوعة ، وفى كل ساعة حسرة فما أقسى الفراق ، وما أشد لوعته فى النفس ، فى النهار أفكار وخواطر ، وفى الليل شكوى وأنين . . حقا ياميمى . انى أتألم فالدموع تذرف غزيرة حارة لبعدك ونواك . والقلب يضطر اضطرابا لذكراك . . أنت كل ما أرى فى هـذا العالم من نور أنت كل أتمناه فى هـذه الحياة ، أنت الأمل الذى أحيا به وأعيش فى ظله ،، فمتى تعودى لتحيا تلك النفس الزائلة ، ومتى يسطع نورك لتنيرى ذلك القلب الموحش . . . ألا أيتها الأيام القاسـية عجلى حتى نعود الى اللقاء ، ألا أيتها الأزمان العاتية اسرعى حتى نجتمع بعد طول الفراق . .

ميمى : أودع رسالتى قبـلة ملتهبـة حارة فتقبليهـا والى اللقاء

سوسو

obeikandl.com

(٢١)

من سوسو الى ميمى

ميمى . . .

انى لأسكب دم القلب ، واتخذ منه مدادا لكلماتى التى أبعث بها اليك معبرا عن عواطفى نحوك وحبى لك ، وهيامى بك ، ولست أعتقد أن هذه الكلمات تحيط بما يضمه لك قلبى من حب واخلاص ، فان هذه كلمات ، وما فى القلب آهات وتأوهات ، هذه عبارات وأساليب والذى فى القلب عواطف جامحة ونيران ولهيب .. هذا كلام وما فى القلب عشق وهيام .

حياتى . . لقد كان لكل كلمة من خطابك الجميل موقع فى قلبى لايمحوه الزمان ، فكأن كلماتك سحر عظيم جذب كل حواسى ، وسرى تياره فى قلبى فأصبحت لاأرى الحياة نعيما إلا بك ، ولا أحس سعادتها إلا فى ظلالك .

آه ياميمى ان الذكرى تنشر فؤادى وتطويه ، وتثير حبى وتزكيه . فياليت شعرى هل سأتمتع بالحياة اللذيذة بجوارك ، وأسعد بالهناءة الى جانبك ؟ تلك غاية الأمانى ومنتهى الآمال ، آه ليت الحياة كلها تدوم عامرة الجنبات بلقائك منيرة الأرجاء بحسنك وبهائك ، وليت لى أجنحة أطير بها فى ملكوت السماء

حتى احوم فى كل مكان تحلين به وتنتقلين اليه فانعم برؤيتك ، وأتمتع بجميل طلعتك . .

متى .. ياحبيبتى يمن الله علينا باللقاء ، ونعيش معاً فى ظلال الهناءة والنعيم

محبك

سوسو

---

(٢٢)

من سوسو الى ميمى

منتهى آمالى ميمى ...

ماذا أكتب اليك ، وماذا أقول لأصف أحوالى ، وما آلت اليه نفسى ولا سيما بعد ما يئست من وصول ردك إلى فأصبحت مشتت الفكر حائر اللب مضطرب الخاطر .. ولو كنت تعلمين انى لاأملك من القوة ما يساعدنى على احتمال بعدك ، وقسوة فراقك لأشفقت على جسمى النحيل الذى أضناه الهوى ، وشفه الغرام ، ونفسى التى ذابت بنيران الشوق والجوى ؛ وقلبى الذى ارتطم بصخور الحب والهوى

حبيبتى :

لم يتعلق أملى بشىء فى الحياة إلا بك ، فأصبح لايهنأ لى عيش إلا بقربك ، ولا يحلو لى مقام إلا بجانبك ، فهل بعد ذلك تقيهين على وتبخلين على حتى بكلمة أشم منها روائحك ، وانشق

من خلالها عبيرك ...

حبيبتى : أسألك بحق من ربط قلبينا برباط الحب الوثيق أن ترحمينى وتعطفى على بكلمة ترفه عنى ، وتخفف قليلا من هذه النار التى تلتهم حشاشتى

عجلى برسالتك ياحياتى فانى أنتظرها كما ينتظر الظمآن الماء ، أو العليل البرء والشفاء

المحب

سوسو

---

(٢٣)

من ميمى الى سوسو

أى حبيبى ...

لقد منيت نفسى بالكتابة اليك فاتخذت من الضعف قوة ، ومن الوهن جلداً لأصف لك ما يجول بخاطرى من الذكرى ، وما يضمره فؤادى من حب ولوعة ، ولكننى شاردة الفكر مأخوذة اللب فاقدة الرشد لسقام انتابنى ، وآلام حلت بى ، فهل تقنع منى بتلك الكلمة الى أن يجمع الله شملنا فافتح لك صفحات قلبى لتقرأ بين سطورها ما إنطبع لك من حب وعبادة ؟ والى اللقاء فى الأسبوع القادم بمصر

ميمى

من سوسو إلى ميمى

ميمى ..

لعمرى للموت اهنأ لى من أن أراك متألمة متوجعة ، تنوئين تحت عبء من الأمراض لاترحم ولا تشفق . .ولو أنها أخذت رأيى قبل أن تحل بك لقدمت لها جسمى ونفسى تفعل بهما ما تشاء ، لكى تظلى أنت هنيئة سعيدة ..

حبيبتى : تمرضين وتتألمين.ثم تخفين عنى أوجاعك وآلامك حتى لاتزعجينى.. فواعجباً لنبلك الرائع ، وشعورك المتدفق ، وعاطفتك الفياضة ...

وأنت أيها المرض يامن أقلقت مضجعى ، وصيرتنى أبيت حليف السهر والحزن لايهنأ لى بال ، ولا تغمض لى عين . لقد مزقت قلبى حزنا واشعلت فؤادى ناراً ، وبعثت فى نفسى أشد الألم حين صوبت سهامك القاسية الى « ميمى » الرقيقة ،فتنح عنها فانها لاتحتمل ثقل ظلك!!

« ميمى » .. هأنذا سأقضى وقتى فى الدعاء لك حتى تبلى من مرضك ، وتنهضى من علتك فى أحسن حال ، وأتم صحة ... وهاك قبلة أرسلها على جناح الأثير حاملة اليك لهيب أشواق ، وحر غرامى

المحب

سوسو

(٤٢)

تحت ضوء القمر

الجو عليل ،والنسيم جميل،والسماء صافية ترسل إلى القلوب بهجة والى النفس سرورا .. هناك بالأورمان حيث الأشجار المورقة التي تثنيها يدالنسيم الرقيقة :وحيث أشعة الشمس المودعة تغادر الكون فتكسب الفضاء حمرة الخفر ، قابلتني «ميمي» للمرة الأولى بعد عودتها ،ولما تصافحنا جلسنا نتناجي ساعة أو بعض ساعة بحديث الحب والهوى والغرام حتى ثملنا بنشوة الحب فمالت إلى وقالت دعني أستريح قليلا لاسبح في عالم الخيال فان هـذه اللحظة هي أهنأ ساعات حياتي ، دعني أقضي هذه الفترة بقربك لأنها أسعدمالاقيت في أيامي ،دعني أتزود منك في هذه الساعة لأني أشعر أنها نهاية ماأرجوه من أمان وأحلام،فقلت لها استريحي ياحبيبتي فان الطبيعة ترعاك من كل جهة،والفضاء يحوطك من كل جانب ، نامي ياحبيبتي حتى ترى أحلام آمالنا ، وتامحي بعين الغيب جمال مستقبلنا .. نامي يا «ميمي» فأناساهر لحراستك، وقلبي متيقظ لرعايتك . . .

وهنا اتخذت من السندس الأخضر مهادا ، ومن فخـذي وساداً واستراحت . . .

فكان هذا داعيا لاغتنام اللذات، واهتصار غصون الغرام . على أن ذلك الصفو الذى توجنا أبى علينا هذه السعادة فهبت «ميمى» من مرقدها مذعورة صائحة « سوسو» فأجبتها مابك يافاتنتى فدارت بعينها يمنة ويسرة وقالت لاشيء غير أننى أخشى أن تزول سعادتنا . فهيا بنا ياعزيزى نحتجب عن هذا العالم . . ونودعه قبلما يصدع قلبينا .. هيا نتغلب عليه قبل أن يقهرنا ، ويذوى بهجة حبنا . . .

ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، فشاطرتها البكاء قائلا هيا نودعه ياحبيبتى ؛ ونسخر مما يخفيه لنا الزمن ... هيا نفارقه فى هذه اللحظة التى امتزج فيها روحانا ؛ وتآلف قلبانا . .

ثم سرنا بين الحشائش الخضراء ، والأشجار الباسقة ؛ والمياه الدافقة ، إلى أن وصلنا الى الغدير فألقيت اليه طرفى ، ثم نظرت « ميمى » فوجدتها توجه إلى نظرات تطفح حنواً وإشفاقا ، فقلت لها أحبك ياميمى أكثر مما أحب الحياة ، ثم أخذتها بين أحضانى ، وضممتها إلى صدرى ، وأخذت ألثم وجنتيها بشوق وحنان ...

وفى هذه اللحظة قلت لها لقد حان الوقت الذى نفارق فيه متاعب الحياة ، ونستريح من مشاقها .. لقد دنت ساعة الفراق، وعما قليل سنرحل إلى الراحة الأبدية . .

فأجابتنى والدموع تهطل من مآقيها هيا بنا يا « سوسو »

فاننا لن ننال من السعادة أكثر مما نلناه . هيا بنا فاننا لم نعد فى حاجة بعد إلا إلى صدر أمنا الأرض . .

ثم تعانقنا مرة ثانيـة ، وظل هذا العناق مدة خفق فيها القلب ، وحلا الحب ، وسالت النفس رقه . . . وفجأة اخترقت آذاننا أنشودة شجية النغمات مطلعها « حياة العاشقين نعيم » إنبعثت من أعماق قلب فاض حبا ، وطفح غراما . . فتنبهنا من سكرتنا ، واستيقظنا من غفلتنـا فقالت ميمى بصوت خافت لا يكاد يسمع ماذا أسمع يا « سوسو » فأجبتها (حياة العاشقين نعيم ياميمى) فقالت أجل لقد صدق فيما يقول،فقلت لها أنظرى إلى ذلك المحب فى ثيابه الرثة ، وجسمه المتهدم تجدى قلبه،مفعم حبا ، ونفسه مملوءة أملا ... نعم ياميمى الأمل هو الذى يضع الابتسام على ثغور هؤلاء البائسين فـكيف بنا ونحن فى أوج سعادتنا نبدلها شقاء ، ونحيل مرورنا تعبا وعناء . . . كلا . . لنحى ثم نحى فقالت لنحى ياسوسو بقلوب ملؤها الأمل ، وأفئدة عامرة بالأمانى .. هيا بنا ياعزيزى نترنح فرحا ،ونتمايل طربا حتى نصل إلى الدار فنشنف آذاننا بسماع الموسيقى الشجية..

(٢٥)

نذير الشقاء

سرت وميمى تخيم علينا سكينة الليل ، وتغمرنا أشـعة

القمر ، بين الأشجار المترنحة ، والرياحين العطرة حتى بلغنا دارها فصعدنا الدرج ثم جلسنا منفردين فى غرفة الموسيقى حيث بدأت « ميمى » تلعب على أوتار « البيان » فتهتز لها أوتار القلوب ، وتسبح الأفئدة فى عالم الخلود ، ثم أخذتها نشوة الطرب فأجادت فى انشادها كل الاجادة ، بينما أنا واقف بجوارها متأثر بجمال صوتها ، وعذوبة نبراتها ، وحسن توقيعها كأننى فى حلم لذيذ ، حتى اذا أتمت القطعة وقفت أمامى مطرقة إلى الأرض حياء ثم قالت : « ما أحلى موسيقى الحب ، وما أعذب ترتيل القلب ! فهما الحياة وهما كل شىء » ، فجذبتها نحوى ، وأجلستها على أحد المقاعد الوثيرة ، وأخذنا نرسم المستقبل الجميل ، والحياة السعيدة ، وبينما نحن نتناجى .. ، إذ سمعنا وقع أقدام صاعدة وإذا بها جميلة هانم فتقدمت الينا مسلمة ثم صوبت نظرها الى فتاتها « ميمى » فى رفق وحنان ، وقالت وعلى وجهها ابتسامة الفرح والبشر « هيئى نفسك لحياة جديدة فلقد اخترت لك زوجا سيحضر لزيارتنا بعد برهة ... »

وما كادت تلفظ هذه الكلمة حتى ارتعدت فرائص ميمى ، وبرقت عيناها فوقفت أمام أمها مذعورة واجفة لاتشعر بشىء إلا بتلك الصاعقة ، وقالت لها أفصحى يا أماه عما يخفيه ضميرك لى ..

فقالت لها « ميمى » لماذا تبكين يافتاتى وهذه مشيئة الله قضت عليك بذلك ، .. ولماذا لاتستمعين لنداء قلبك الذى يعلو

وينخفض لهذه الرغبة المحبوبة ...

وما سمعت « ميمى » هذا حتى وقفت باهتة صامتة كالتمثال لاحس به ولا حراك . وبصوت تقطعه الأنات المؤلمة قالت : أماه أعرضى عن هذا فما سألتك زوجا ، ولا ناشدتك شريكا . وانما تمنيت عطفك وتطلعت لحنانك ... فردت عليها الأم متألمة ... اخضعى لمشيئة أمك الحنون ؛ فأجابتها بقلب متقطع حزين . أى أماه اننى اذا أذعنت لارادتك فسأقضى حياتى شقية تعسة أتقلب على نيران الجمر .. لاأهنأ بسرور ، ولاأتمتع بنعيم وان كنت ترغبين فى تعذيبى وتنعمين بشقائى فأقدمى على عملك فانى لأمرك مطيعة ، ولجبروتك خاضعة ، ثم أخفت وجهها بين يديها لتستر دموعها ، فأجابتها الأم متحسرة «لقد نفذ السهم ، وقضى الأمر»،أما أنت ياسوسو فاذهب إلى زيزى فهى أحق بعطفك وحنانك .. فقلت ليس لأى قوة فى العالم أن تحول بينى وبين ميمى فهى حياتى ، وكل آمالى ، ثم ركعت أمامها متوسلا ومستعطفا ولكنها ما زالت تضرب على نغمة « زيزى » قائلة

« زيزى » تحترق وجدا وهياما فانقذها ..«زيزى» تموت حزنا وكمدا فاشفق عليها..«زيزى» تتقلب على نار الشوق والهجر فاطفىء لهيبها . حتى تملكنى اليأس ، واستولى على القنوط . هممت بالخروج وكأنى بآدم يخرج من جنة السماء طريداً حزيناً .

لقد نفذ السهم ، وقضى الأمر

(٢٦)

سلطان الهوي

رغم تلك الصدمة العنيفة لم يزل قلبي يردد ذكراها ، وترفرف روحي شوقا لرؤياها ؛ وصرت بين ألم الذكرى ، وعذاب الفراق ، حتى قادني الهوى يوما إلى دارها على أتزود منها بنظرة تشفي علتي وتطفيء ظمئتي ، وما وصلت الدار ، حتى رأيتها جالسة على مقعد في وسط الحديقة كثيرا ما ضمنا سويا ، وعلى مقربة منها وقفت وقد تلعثم لساني ، والتوى على بياني . فلاحت منها التفاتة نحوي ، فهمت واقفة تحييني ، ثم أجلستني بجوارها وابتدرتني قائلة

ليتنا متنا يا « سوسو » ولم نصدق ذلك الفأل الخادع . . ليتنا هجرنا ذلك البلاء ، وسعدنا سويا في عالم البقاء ...

فأجبتها . رباه .

لا أدري أأنا حي أم ميت ... ما هذه الصدمة ؟ .. أأزرعك وردا ، وأجنيك شوكا ؟ ؟ لقد شربت المر عذابا في هواك ، واستطبت الموت حبا في رضاك ، وبعد ذلك تزفين لغيري . . أهكذا تنتهي مأساتي ؟ أم تبتدىء آلامي وأحزاني ؟ «ميمي» : لقد نفذ السهم ، وقضي الامر هذا ما قالته والدتك ...

فاللهم رحمة بنا فقد عجزنا عن احتمال هذه الآلام . . .

ولـكن ثقى ياميمى اننى إن ابتعدت عنك بجسمى فسأظل قريبا بروحى ... سأحتفظ بعهدك فى حنايا قلبى ، سأذكرك كلما طلعت الشمس أو غربت ، وكلما هب النسيم خرك الأغصان ، أوغردت الطيور على الأفنان ..

حبيبتى ، هاك يدى فعاهدينى عهدا وثيقا ألا يجف لى دمع ، ولا يهدأ لى روع ولا يستقر لى حال مادمت حيا ، أواه ياحياتى فراقك نار وقودها أحشائى ، وبعادك سعير جمرته فؤادى .

«ميمى» . عيشى راضية هانئة فى حياتك المستقبلة . أما أنا فسأهيم على وجهى وسأجوب ما بين المشرقين ، وأغالب الكوارث وتغالبنى ، وأصارع النوى وتصارعنى فى ميـدان الهوى ، حتى أخر صريعا فى النهاية ، وأموت فى حبك سعيدا ، فالى اللقاء ..

فتأوهت ميمى ثم سقطت جاثية وقالت ...

رباه سبحانك لاتسأل عما تفعل ، سقيتنى كأس الحب صافية ثم صرعتنى غضاضة الفراق مرة . . أسلمت قلبى لهذا الملاك ، ثم نزعتنى منه إلى شخص لا أعرفه ولا أحبـه ولا أرتضيـه لنفسى . . رباه خلقتنى للألم والشقاء ، وأنا الضعيفة التى لاتقوى على إحتمال هـذا البلاء ... لقد خارت عزيمتى ، ونفذ صبرى ، وقلت حيلتى ، ولا يسـعنى إلا الرضاء بقـدرك ، والخضوع لقضائك ..

واحسرتاه على أملى الضائع . لقد أحببته ملء قلبى فكان

كل مآربى ، وغاية أمنيتى فى هـذه الحياة ، .. ولـكن شاءت قدرتك أن تصعقنى تلك الصاعقة المميتة لأغسل وجهى بدموعى ، وأحرق كبدى بأحزانى ، وألهب قلبى بأشـجانى ، فأنا المحبة البائسة ، تعمدتنى الأيام وقست على الليالى ...

رباه .:. لقد غذيتنى بلبان الحب ثم صرعتنى بنار الفراق ، أودعت قلبى لهيبا ، وأسكنت أحشائى ناراً ، وأجريت دموعى غزاراً ... ليتنى لم أخلق فى هذا العالم ، وليتنى لم أعرف تلك الحياة القاسية ، ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فاللهم إرحم تضرعى ، واغمرنى برعايتك . . .

رباه ... هأنذا أخر أمام عظمتك لتخفف لوعتى ، وتستجيب دعواتى ، وتعطف على من شفها الهوى ، وأذابها الغرام ، وروعتها قسوة الأيام . . هاهى شكواى أبثها اليك لترحم تلك الدموع المنهمرة ، وتشفق على هذا الفؤاد المحطم ، وتحنو على هذا القلب المنكود المتألم ...

سقطت « ميمى » أثر هـذه المناجاة الحـارة على الارض فأجلستها على المقعد ، ثم سرت الهوينا والحيرة تساورنى ، والقلق يشغل خاطـرى ، وبعد أن ألقيت عليهـا نظرتى الاخـيرة إنصرفت . . . .

(٢٧)

النفس المعذبة

غادرت منزل ميمى وعينى تفيض من الدمع حزنا ، واحشائى تذوب من البعد ألما ، وكيف لاأقتل نفسى هما وقد انهدم ذلك الصرح العالى الذى شيدته بعواطفى وشعورى ؛ وانهار ذلك البناء الشامخ بعد أن بذلت فى إقامته النفس والنفيس . . .

خرجت وبين الضلوع مناحة ، وفى اعماق القلب حسرة ، حتى وصلت دارى وهنا تمثلت لى قسوة الأهل ، وصرامة أحكامهم فخانتنى قواى ، وخارت عزيمتى ، وتغلبت عواطفى على عقلى فسبحت فى بحار الهموم والأفكار ..

وطالما أطلقت العنان لعينى تسكب الدمع غزيراً لعله يطفىء ما أحسه من نار الجوى ؛ ولهيب الفراق ... ولكن كل هذا لم يجد نفعا فذكرى « ميمى » لا تفارقنى وطيفها لايبارحنى ، فهى فى مخيلتى دائما

فيأيها الآباء يامن قدت قلوبكم من حديد ، لماذا لاترحمون أبناءكم ولاتشفقون على فلذات أكبادكم ؟ ولم تزجون بنا فى مهاوى الدمار ونحن لكم طائعون براً بحرمة الأبوة ؛ واتباعا لارشاد الدين الحكيم ...

أيها الآباء كيف يتاح لكم أن تتحكموا فيما لاسلطان لكم عليه ؟ ولماذا ترغبون فى أن تتملكوا مالايملك ؟ . . القلب لاسلطان عليه ، والشعور لايتحكم فيه ، هاكم أجسامنا فمزقوها وهاهى دماؤنا فاهدروها ، وهاهى نفوسنا فأسيلوها ، ولكن ماكان لكم ، وليس فى قدرتكم أن تتحكموا فى ذلك الشعور والوجدان ، أو تتملكوا القلوب التى لم يسلس قيادها لأحد مهما علت منزلته ، وشرف مقامه ، وقد قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « اللهم ان هذا قسمى فيما أملك ، فلاتلمنى فيما لاأملك »

أيها الآباء ارحموا قلوبنا الجريحة ، واعطفوا على أكبادنا المحترقة ، واتقوا الله فينا ، ودعونا وما اتجهت اليه قلوبنا ، وتحركت من أجله عواطفنا

أيها الآباء الجبابرة نحن أبناؤكم وأنتم آباؤنا . نحن الذين نخلد ذكراكم ، ونسجل لكم فى بطون التاريخ أعمالكم فدعونا نستنشق نسيم الحرية فالحرية حق طبيعى لكل إنسان . . .

أيها الآباء . . : لكم أن تزجوا بنا فى غياهب السجون ، لكم أن تضعوا الأغلال فى أعناقنا ، ولكن ليس فى قدرتكم أن تقيدوا أرواحنا ، وتحولوا شعورنا الذى نحيا به ، ونموت عليه ، ونبعث به أمام الملك الديان

وأنت أيتها الحبيبة الأمينة لهفى عليك حينما تذكرين تلك الأيام السابقة التى ارتشفنا فيها كئوس الحب الطاهرة ، وتبادلنا

فيها الاخلاص والحب المتين ، والود الصادق . .

لهفى على تلك الآمال التى نسجنا خيوطها ، لنشترك فى القيام باعباء الحياة سويا . فسرعان ما تحطمت على صخور الاستبداد ، وتهشمت على جدران الاستعباد . . . ذهبت آمانينا ، وتبددت أحلامنا ، ولم يبق إلا غصة فى القلب لهذه الذكريات الأليمة ...

أى « ميمى » أرجو لك صبراً جميلا ، وعزاء حسنا تلهمين بهما من رب العالمين ، كما أتمنى لك سعادة دائمة ، وتوفيقاً مستمراً فى حياتك الجديدة ، وثقى أنه مهما فرقتنا الأيام فذكراك تتردد فى خاطرى ، وحبك مطبوع على صفحات فؤادى

---

(٢٨)

من سوسو إلى ميمى

حبيبتى ميمى

ماذا أكتب اليك الآن .. أأكتب باثا أشواقى ، حاشا فشوقى لاتبليه الأيام. أأكتب اليك شاكياً فعل الهوى بفؤادى ، كلا فهيهات أن تحيط بوصفه الأقلام . . . وانما أشكو اليك الصدمة التى ارتجت لها جوانب قلبى ، وفاضت من أجلها أدمع عينى ...

ميمى .. روحى ..

أحقاً أن عروة الحب الوثيقة التى تربطنا قد انفصمت ،

وأن ذكرياتها الماضية قد ذهبت ، وأن نعيمنا السابق، وهناءتنا الغابرة كانت حلما لم نكد نسعد به حتى أشقتنا الحقيقة المرة بفقده ، وأن هـذه السعادة التي ارتشفنا كؤسها كانت زهرة تفتحت عنها أكمامها ثم ما لبثت أن ذبلت . . . تكلمي ياميمى فان الصمت يشقيني ...

حبيبتى كنت أحسب أن الدهر يبسم لى ، وأن السـعادة تحوم حولى ، ولـكن هاقد خدعت فى آمالى ، وفجعت باندثار أحلامى .. فرحمة أيها الدهر العتيد لقد سلطت سهامك على حتى أصبتنى فى الصميم . . مالك تعاندنى ؟ مالك تتخذ منى عدواً تحاربه . وندا تنازله ، .. ما الذى ارتكبته فى حيـاتى حتى أتجرع الصـاب وأصلى نيران الألم ؟ ... ليس لى من نصير إلا أنت يارب فانظر لى برحمتك !

أى « ميمى » ... سأظل على عهدك باقيا ولحبك أميناً صادقا .. سأظل أهتف بأسمك وأحيا على حبك حتى يضمنى قبرى ، ويؤوينى رمسى وسلام على فى الغابرين ؟ سوسو

(٢٩)

من ميمى إلى سوسو

مالك فؤادى سوسو . .

لعمرى أن العيش بدونك نار تكويني ؛ وأن الحياة من

غيرك عذاب يشقيني فأنت الحياة وأنت النعيم ..

حبيبي .. من كان يظن ان آمالنا التي شيدنا صروحها ، وأقمنا أركانها ستزول .. من كان يعتقد أن حديقة حبنا الفيحاء ، وجنة هوانا الغناء ، تصبح صحراء مقفرة ، وأرضاً جرداء ... من كان يظن أن نهر الحب الذي يجري بين قلبينا فيطفيء ظمأ شوقنا ، ويروى بستان غرامنا يفيض ماءه ، وينضب معينه ويصبح في خبر كان ، من كان يظن أن تلك الليالي التي قضيناها على بساط المودة والاخلاص نحتسي شراب الحب فيسكرنا ، ونتبادل أحاديث الهوى البريء فتطربنا ، تصير الى وحشة وفراق ...

فاللهم أتضرع اليك من أعماق قلبي أن تلهمني صبراجميلا ، وعزاء حسنا .. وأنت ياأماه لقد خفي عليك أنه باق في الفؤاد ساكن بين حنايا الضلوع .. ومهما ضيقت على الخناق وحرمتيني رؤيته ولقائه فان عملك هذا لايؤثر في عاطفتنا لأن الضغط كلما اشتد تولد عنه الانفجار ..

وأنت ياسوسو ثق انني سأتحمل في حبك كل ما ألقاه من ضروب التعذيب والهوان . وأن حبي لك سيبقى ساطعاً وهاجا لايطفئه إلا الموت . والموت رحمة

ميمي

الليلة الراقصه التى أحيتها جميلة هانم لخطبة أبنتها

(٣٠)

الخطبة

نامت العيون ، وهدأت الجفون ، وسكنت كل سارية فى الأرض ، وكل سابحة فى السماء إلا أنا فقد ظللت ساهرا أندب سوء حظى ، وأبكى نكد طالعى ، وكيف لا والموت أهنأ لى من أن أرى « ميمى » يحتفل بخطوبتها اليوم على غيرى :

ألم دونه كل ألم، وفشل ليس لغيرى أن يحتمله.. «ميمى» لم تعدلى، وأصبحت لغيرى ؟ إذن حق على أن أشارك القوم إحتفالهم بليلة خطوبتها، وأن أمثل من آلامى مظهراً للفرح ، ومن عذاب الخيبة صورة للسعادة، لذلك ارتديت ملابس السهرة وابتغيت الخروج واذا بى أرى «ميمى» أمامى مرتدية ثوبا أبيض، وما كادت ترانى حتى سقطت واهنة متوسلة . . . يحتفلون بخطبتى فأنقذنى بربك . . . فاهت بتلك الكلمات وعيناها المغرورقتان بالدموع ترقبان منى جوابا . . . ماذا أقول وماذا أصنع ؟ لقد خيل إلى أن جسدى أصبح قطعة من الثلج تجمدت ، أو كتلة من الخشب تفحمت فدارت بى الأرض ومادت، ولم أستطع النطق ففاضت مدامعى ، ووهنت قوتى ، وترامیت على أحد المقاعد نهب للهموم والآلام .. تناوبنى هموم ثلاث أزعجت وأقلقت

خاطرى : فاما أن ننتحر سويا، وإما أن نهرب معا، وإما أدعها أمة لزوجها يتمتع بها كما يشاء، وأنا أصلى نار الغيرة وأقاسى آلام الحسرة

نظرت اليها فوجدتها تنظر إلى ،ويالها من لحظة رهيبة خيم فيها الصمت ؛ وساد السكون ، ونابت النظرات عن العبارات؛ وفى كل عين دمعة حائرة ، وفى كل قلب نار ثائرة .

تنهدت ميمى وكأنها عرفت ماجال بخاطرى فقامت بعدما القت على آخر نظرة وقالت والآن دعنى أذهب ، وأعلم اننى لن أنساك رغم افتراقنا .. اجل لن أنساك ، ولن تنمحى ذكراك من مخيلتى فصورتك مطبوعة على صفحات قلبى؛ سأذكرك دائما ، وتخيلك إلى الأبد، وسأظل مخلصة لك وفية لعهدك ؛ وهنا بح صوتها واختنق بالبكاء ، ثم تأهبت للانصراف وهى حزينة بائسة ، فطبعت على جبينها قبلة الوداع واستطردت أقول لها فى تمهل؛ لقد جاء الوقت الذى أدعوك فيه صديقتى بعد ما كنا حبيبين وفيين تجمعنا عروة الحب ويربطنا ميثاق الغرام ، فاذكرينى يا «ميمى» اذكرى ذلك الشخص الذى أنهكه الحب وأضناه الهوى ، اذكرى جلساته وحديثه ، اذكرى تلك الغرفة وما قضينا فيها من سويعات ؛ اذكرى الماضى الهنىء المفعم بالذكريات

اذكرينى دائما ياميمى فانى لن أنساك ما حييت . . فقالت سأذكر كل ذلك يا «سوسو» ، أما حبنا فليكن فى السماء ...ثم

وياليها من لحظة رهيبة خيم فيها الصمت ، وساد السكون ،
وتاهت النظرات عن العبارات

obeikandl.com

أسندت رأسها إلى صدرى، واهتاجت بها الذكريات، فطوقتنى، فضممتها إلى، وأطفأت لهيب غرامها بدموعى، وطال هذا العناق الطاهر الذى امتزجت فى خلاله دموعنا، واهبت أنفاسنا، ثم خرجت بعد ما ألقت نظرة أخيرة على كل ما فى الغرفة ..

(٣١)

الصدمة

حنانيك يارب بميمى

تركتنى «ميمى» قلق البال لا أدرى ماذا أصنع حيال تلك النكبة العظمى، فأطلقت العنان لمدامعى، وظللت أعانى آلام الحزن والأسى، حتى انتصف الليل، فقصدت مخدعى ألتمس النوم، ولكن أنى للمهموم أن ينام، ومن أين للمتألم أن ينعم بهدوء أو تكتحل عينه برقاد .. مضى الليل إلا أقله وأنا أتقلب ذات اليمين وذات الشمال فقمت من فراشى وأنا غارق فى أفكارى مبلل بدموعى، وبعد أن ارتديت ملابسى خرجت مهرولا، فدفعنى الحب الى منزل « ميمى »، ولما دنوت منه رأيت أنوارا ساطعة تتلألأ فى أركانه، وزينات باهرة تزين أبهاءه، ونغمات التانجو والفوكس تروت تنبعث منه وتتردد فى انحائه .

راعنى ذلك، وكاد يطير لبى، فلم أقو على الوقوف، فهمت

على وجهى طريداً شريداً ،حتى اذن ديك الصباح، وسطعت الشمس على البطاح أخذت أبحث عن صديق اشكو اليه حزنى، وأبثه همى . . ولكننى أخفقت فى سعيي فلم اقابل صديقا ، ولم اجد رفيقا ... وكأن الله اراد أن يضاعف همومى، ويزيد كربى،فبقيت هائما فى الطرق لاأدرى أين أتوجه حتى أضنانى التعب ؛ وأجهدنى المسير فعدت إلى المنزل ؛ وهناك وجدت كتابا من ميمى وإذا به ...

(٣٢)

من ميمى الى سوسو

حبيبى « سوسو »

كنت احسب انى قد نزودت منك لآخرتى ، ولكن . . . هاقد نفذ مافى جعبتى وانا على أهبة الرحيل.. فأودعك ياسوسو بقلب ينفطر من الحزن والأسى لفراقك .

أودعك لأن الموت أهون من أن أكون فى أحضان سواك فالوداع ياحبيبى الوداع .. المتألمة لفراقك

ميمى

قرأت هذه الرسالة وماأتيت على آخرها حتى أسرعت الى دار ميمى كالسجين فك قيده وعقاله ، أو كالمجنون عاوده خياله . . ولكنى ما كدت اصل اليها حتى وجدت امام باب قصرها زحاما هائلا يقصر عنه الوصف فاخترقته ، ثم اقتحمت

الباب فرأيت ما هالنى ، وأطار صوابى ... رأيت ميمى ساقطة على الأرض تتخبط فى دمائها وأمها واقفة أمامها مبهوتة حائرة ، وعلى محياها سمات الحزن والندم

ما كدت أدنو منها ، حتى هويت إلى الأرض انتحابا تقطعه العبرات ، وأنين أنات ملؤها الأسى والزفرات ، ثم مالبثت أن هممت من رقدتى ، واندفعت نحوها أقبلها وأتملاها إلى أن حال بينى وبينها الطبيب . . وبعد ذلك حملتها على ذراعى ، فعلا الأنين والعويل بدل الزغاريد والأناشيد وانقلب المهنئون إلى مواسين ومطمئنين ، ثم صعدت بها والعويل يكاد يصم آذانى إلى أن وصلت إلى فراشها ...

لك الله يا « ميمى » لقد ألقيت بنفسك من شاهق براً بوفائك ، ورعاية لعهدك فرحماك اللهم بها . أنقذها يارب ونج حياتها .. إن لم يكن من أجلى فمن أجل أمها المسكينة التى ستتألم فى الحياة من بعدها ...

تقدم الطبيب للفحص عنها ، وجس نبضها فعلت تنهداتنا ، ونحبست أنفاسنا ، وأخذنا نتفرس فيه صامتين ، ونشخص لأسارير وجهه واجمين إلى أن لمحنا على شفتيه إبتسامة الاطمئنان .. فدنت منه الأم ، وأخذت تتوسل اليه قائلة : طمئننى ، أتحيا ؟ نجها من الموت بربك .. فابتسم الطبيب وقال : ستحيا باذن الله ستحيا ...

قضيت ليلتى ساهراً بجوارها،لم يغمض لى جفن،ولم يهدأ لى بال،وكانت ليلة ليلاء كم قاست فيها ميمى من الأوجاع والآلام .. وأخذ الداء منهـا بعد ذلك مأخذه ،حتى أصبحت لاتقوى على النطق . . فلبثت بجوارها مدة أتوجع لهـا وأواسيها إلى أن أبلت من مرضها،فهجرت مضجعها،ورحلت إلى لوزان ...

(٣٣)

طيف الحبيب

مرت الأيام تلوالأيام وأنا بعيد عن « ميمى » وعن رؤيتها لا أجـد أمامى سوى الطرق تتقاذفنى،والفـلوات تتلقفنى، فاذا قضيت وقتاطويلا ،وأنا أجول فى الفـلوات انقلبت إلى تلك الحديقة الغناء التى سعدت بهـا وقتا ، ونعمت بالجلوس فيها مع « ميمى » حينـا . . . تمليت مناظرها التى أثلجت صدرنا ، وأصغيت لأنغام أطيارها التى شنفت اسماعنا .. ثم عرتنى نوبة من البـكاء ، وعاودنى الألم والأسى فقلت : يا كثير منك أيها الدهر أن تضرب بيننا بضرباتك بعد أن تعاهدنا على الوداد ، وأقسمنا على الوفاء ، كثير منك أن تشطر قلبينا فيصبح كل منا فى واد يتلهف لرؤية الآخر ، ويبكى لفراقه أمى وحسرة ، فمن لى يارب برحمتك وعطفك ، وأنت ياميمى ماذا دهاك حتى

ترحلى إلى تلك البلاد النائية ؟ ألم تفكرى فى نتيجة بعدك ؟ ألم تعلمى انك شمسى التى استضىء بهـا فى ظلمات الوجود ؟ نعم تعلمين ذلك! إذا لماذا هذا البعد المضنى، والفراق المؤلم ..

« ميمى » لقد مضى اربعون يوما وانت بعيدة عنى قاسيت فى خلالها مرارة الشوق فهمت فى الخلاء لأسلوك . ولكن قلبى لايحيد عن ذكراك . . . حبيبتى ، ان حديثك العذب، وكلماتك الرقيقة كانت تخفف عنى آلامى ، وتطفىء جمر وجدى وهيامى.. فماذا اصنع الآن وانا بعيد عنها ؟ . . بربك عودى إلى حتى تعود الحياة .. عودى لتعود الروح إلى جسدها ، وتعود بعودتك السعادة لقلبى المستوحش، ولكن اين انت لتسمعى توسلاتى، وترثى لحالى . .

فعزاء لك يا « سوسو » عزاء البائسين المنكوبين .. عزاء لك ايها المحب الولهان الذى شتت الدهر امره وبدد شمله ، عزاء أيها القلب المعذب ، عزاء ايتها النفس الواهة الحزينة . . .

وانت ايها التاريخ المليء بالحب ، المفعم بالذكريات ، امحى وامحنى معك ، وانت يا « ميمى » عيشى منعمة رافلة فى ثياب العز ، ناعمة فى احضان من ستزفين اليه .. نعم سأتألم لذلك الآن ، ولكنى سأكون سعيداً حينما اراك بين زوجك واولادك . .

إيه يا « ميمى » . . . أأنت امامى ؟ . . اتجالسينى ؟ مالى اراك ياحبيبتى باكية ! هاتى يدك وادنى منى حتى أضمك إلى

صدرى ، وانسى العالم وما فيه خلا انك بين احضانى اقبلك كما تشتهى نفسى . فتصعد روحى إلى العلا ، وتنصهر نفسى بنار الحب والجوى . . . ثم هجمت لأضمها إلى ،فلم ار امامى شيئا ، فانتبهت من غشيتى إثر ذلك وقلت . .

إيه ايتها الطبيعة .. اما كفاك عذابى حتى تعملى على خداعى؟ أما كفاك ما قدر على من شقاء بدون ذنب اقترفته حتى تعملى على ايلامى ، لماذا تبتسمين لغيرى وتعبثين لى ... ؟

حنانا أيتها الطبيعة فقد طفح الكيل،وفاض الاناء ،فانعمى على باثارة من شفقة او حنان ...

وما زلت كذلك حتى تنفس الفجر ، وغردت الأطيار ، فذهبت اتلمس منزل « ميمى » ، لأطوف به واحرسه من انظار العابرين . . ثم عدت الى منزلى انشد الراحة والهدوء . حتى اذا عاودتنى الذكرى رجعت لتأملات البارحة وجولان الأمس ..

(٣٤)

اريد سوسو

خرجت هائما كعادتى،وبينما انا فى طريقى، سمعت صوتا ينادينى من ورائى،فهممت وجهى شطره،واذا به سعدية تلك الجارية السوداء مربية ميمى مصفرة الوجه ، مرتاعة القلب .

حبيبي سوسو . أأنت هنا . أأشفقت على الآن

obeikandl.com

دنت مني متلهفة وهي تقول سيدي ، سيدي يسوءني ان اخبرك ان سيدتي ميمي قد حضرت وهي في حالة مرض شديد يهدد حياتها وقد أرسلتني جميلة هانم في طلبك الآن فاسرع بربك ..

ثم تركتني وانا في حالة يرثى لها .. قلب مفعم بالأحزان .. وفؤاد مثقل بالهموم ، وكبد تنفطر من الأسى ... ، ثم مشيت أجر أذيالي ، حتى وصلت إلى منزل ميمي ، حيث الحبيبة الصادقة ، والوفية الأمينة ، فوجدت أمام المنزل طائفة من السيارات ، ورأيت فريقا من أهلها وذويها يركبونها واجمين صامتين ، لا أكتمك أيها القارىء ما قاسيته في تلك اللحظة الرهيبة إذ كنت قلقا مضطربا ، فدخلت من الباب ، وما كادت قدمي تطىء أرض الحديقة ، حتى رأيت جميلة هانم تغدو وتروح وأمارات التأثر بادية على وجهها ، فخشيت الأمر وتقدمت نحوها فما رأتني حتى بكت وقالت ...

«سوسو» حبيبتك «ميمي» تموت ! .. حبيبتك ياسوسو تودع هذا العالم ، وتتركنا عرضة لآلام الذكرى ، وحسرة الفراق . بربك اسرع لتودعها ، اذهب ولا تهمل قبل أن ترحل عنا فربما تموت شقية إذا لم تركـ ... بربك بربك .. ثم اختنقت بالعبرات فلم تستطع الكلام ... لقد قطع كلامها نياط قلبي فأجهشت بالبكاء ، ثم أسرعت حتى وصلت مخدع «ميمي» فوجدتها طريحة الفراش ، مغمضة العينين ، بادية الاصفرار والشحوب ،

obeikandl.com

فأخذت أتفرس فى ملامحها ، فلم أتمالك نفسى ، وجال الدمع فى عينى شفقة وحنانا إذ فطنت لتضحيتها وإخلاصها ...

لبثت واقفاً فى مكانى جامداً أنظر اليها ، وما هى إلا برهة حتى دنت منى أمها فوجدتنى ماثلا أمامها كأنى نصب أو تمثال فبكت ما شاء الله أن تفعل ، حتى استيقظت ميمى على صياحها فقالت لها أماه أنت تبكين؟ .. أهكذا تشعرين أنى انتهيت ؟؟ إذا كان كذلك فبحق السماء أريد أن أحظى برؤية سوسو ، ألم يجىء بعد ليرانى ؟ ألا يرانى جديرة بكلمة وداع ؟ أماه اننى أهواه وأحبه فاشفقى على وارحمينى ، لقد وهبته قلبى وفؤادى ، ولم استطع أن أردهما منه مطلقا ، فهل بعد ذلك تبخلين على برؤيته ، أريد أن أراه ، اريد أن أموت بين احضانه ، أريده بجانبى فى هذه الساعة ، اريد أن اتزود منه لآخرتى ، ثم داهمتها نوبة سعال شديدة منعتها عن مواصلة الكلام ..

دقائق قليلة خلتها دهرا ، وأنا على حالى السابقة قلب يخفق ، فرائص ترتعد ، عيون تدمع ، رأس يدور ... فقدمت رجلا وأخرت أخرى ، ثم أظهرت نفسى لها . فما كادت ترانى حتى ابتسمت قائلة حبيبى سوسو .. أأنت هنا ؟ أأشفقت على الآن ؟ ما أعظم هذه السعادة التى أشعر بها .

ثم مدت يدها إلى مشيرة بالجلوس بجانبها قائلة ..

« سوسو » بحقك لم تمض دقيقة واحدة دون أن تكون

ذكراك فى فكرى، وخاطرى .. فادن منى قليلا ياحبيبى .. اخلط أنفاسك بأنفاسى . امزج روحك بروحى .. قبلنى فما أحلى قبلتك فى هذه اللحظة .

«سوسو» ما أجملك الآن وما أحلاك أمام هذه البائسة التعسة التى أفنى جمالها المرض ، وأسقمها الهزال ، فدنوت منها ، وما كادت الأم ترانا على هذه الحال ونحن متعانقان، حتى تركت لنا الغرفة وانصرفت .

(٣٥)

الموت

وداعا ياميمى

قالت ميمى، وهى تتلوى من شدة الألم .. « سوسو» الى بهذا الدواء ، فأجبتها الى ما طلبت ، ولكنها ما كادت تتجرعه حتى تضاعفت آلامها واضطربت أعصابها، فجذبتنى اليها مستغيثة ثم صاحت آه سأموت ياسوسو ... لقد انتهى كل شىء فأصفح عنى

نظرت اليها والأسى يملأ جوانحى ، وبكيت حتى بح صوتى ولم استطع النطق، فانحنيت عليها اقبلها فقبلتنى وقالت أجل ياسوسو قبلنى فما هى الا القبلة الأخيرة ، ثم نظرت الى

قائلة أتبكى من أجلى ياسوسو ، أتتألم الآن لألمى ما أعظم حنانك ، وما أشد اشفاقك،فمن لى يارب بالحياة ثانية ..

فى هذه اللحظة عاودها الطبيب،وما كاد يفحصها حتى قال انها تناولت الدواء مركزا، فتسمم جسمها ، ولم يعدهناك امل فى حياتها ، سمعت ذلك فجن جنونى،وامسكت به قائلا أيها الطبيب نجها بربك ، انقذها من أجلى ، وما زلت اتوسل اليه حتى سمعت ميمى تصرخ قائلة : زيزى !! عيشى مطمئننة اننى اموت ثم هدأت ، فلم اسمع لها صوتا ..

لقد خارت قواى ولم املك نفسى ،لأنى انا الذى قد جرعتها السم بيدى،فلا بد من ان القى جزائى، وانال عقابى ، فصحت .. انا القاتل الأثيم .. انا الذى يجب ان يعدم ..

فصاحت المسكينة قائلة كلا كلا .. انا القاتلة .. انا التى قتلت نفسى ... انا التى تجرعت الدواء مركزا لانى آثرت الموت على حياة يكتنفها البؤس والشقاء ..

تجرعته لأستريح من هذا العالم الذى لايشفق،ولا يرحم.. فدعونى أمت حيث الراحة والخلود ، دعونى ارحل لأشكو لربى تعاستى فى حبى ، وشقائى فى غرامى ، وان كنت شقيت فى الدنيا فانى لن اشقى فى الآخرة ..؛ وانت ياسوسو يا كريم النفس ياعظيم الوفاء والاخلاص . اتريد ان تضحى بنفسك ، وتزج بها فى اعماق السجون لتتعذب مثلى ، او لتبتعد عن هذا

العالم التعس المليء بالبؤس والشقاء ..

كلا ياحبيبي .. ثم ادنتني منها وأخذت تقبلني ، وتضمني الى صدرها باذلة كل ما بقى لديها من قوة ، ثم صاحت « سوسو » ان الساعة قد دنت ، وحياتي قد إنتهت فارحم زيزى ، وعش معها للأبد .. لا.لا. إنني أحبك ، وسأعيش لأجلك ، فاليك عني ياشبح الموت ... لا أريدك .. انني ابغضك .. ومدت الى يديها النحيلتين ، وضمتني ثانية وصاحت الوداع يا أحب الناس إلى ، الوداع يا أماه لقد غفرت لك صنعك ، الوداع أيها العالم المنكود .. ثم نامت نومتها الأخيرة !!!...

ارتجفت لذلك ، وأظلمت الدنيا أمامي ، ومادت بي الأرض فأخذت أحركها بيدى فما من حركة تبديها ، وأناديها بصوتي المتهدج الحزين ، فما من كلمة تجيبها ، فارتميت عليها ، وأخذت ألثمها ، ولكنني لم أتذوق ذلك الرضاب الذى تعودته من قبل...

إذاً لقد ماتت ... ماتت أيها القوم فابكوها بدمائكم بدل دموعكم .. ارثوها بقلوبكم وشعوركم .. ماتت أيها القلب فتقطع حزنا عليها وأسى . وأنت أيتها النفس اجزعي عليها ما طاوعك الجزع ، واحزني عليها طول الابد ، ماتت ففي ذمة الله تلك الوردة الناضرة الزاهية ...

حبيبتي . أين أنت ذاهبة ؟ أذاهبة الى عالم الهجران ؟ أذاهبة الى دار الخلود ؟ أهكذا عجلت بفرقتي ؟ أهكذا ملت

رؤيتى ؟ أسفى عليك ، وعلى شمائلك السامية ، أسفى على أخلاقك القويمة، وآدابك العالية ، أسفى على اخلاصك المتين ، ووفائك المكين ..

سلام على قلبك الطاهر، ونفسك الشريفة ، سلام عليك يوم ولدت ويوم مت ، ويوم تبعثين حية ...

وداعا ياعزيزتى ، ويا أحب الناس إلى وداعا ... ثم سقطت على الأرض لاحول لى ولا قوة ...

(٣٦)

آلى المقر الاخير

ازدحم المنزل بأكرم الفتيات من أترابها أتين ليودعنها قبل أن يثويها مقرها الأخير، وكذلك أم السرادق علية القوم وعظماؤهم من قضاة، وأطباء، وضباط، وغيرهم من رجال الدولة حتى ضاق بهم السرادق على سعته، وانفراج ما بين أطرافه، فازدحم الطريق بهم وعلى وجوههم امارات الحزن وعلامات الأسى ..

وأخيراً خرج النعش محمولا على الأعناق، فياهول ما سمعت من صراخ دوى من الجميع فالأطفال يبكونها لجميل مداعباتها، والبنات يندبها لطهر قلبها، والشيوخ يتحسبون عليها لدماثة أخلاقها ، ونبل طباعها ، والشبان يقطعون القلوب أسفاً على

حسنها الموءود ، وجمالها المفقود ••• فكانت مناحة تفجعت لهولها الاكباد ، وسكبت الدموع الحارة السخينة ، واشتد البكاء والصراخ والعويل من الجميع ...

سار النعش مكللا بالورود،والرياحين،والقوم من خلفه واجمون صامتون،وأنا بينهم مطرق الرأس منفطر القلب ••

وهكذا شيعت جنازتها باحتفال رهيب حتى ووريت التراب مبكيا على شبابها •

(٣٧)

على قبر الحبيبة

« ميمى » مالك فارقتنى ولم تنذرينى ؟ •• مالك فجعتنى ولم ترحمينى ؟

هل رضيت ان تبتعدى عنى أبد الدهر ، وقد كان النأى لحظات يؤلمك ، ويضنيك ؟؟ ••

ميمى ••• لو كنت أملك أن أفديك بروحى لفعلت ، ولو استطعت أن انقذك بحياتى لما ترددت •• ولكن الموت عات جبار يختار من يشاء ولا يقبل الفداء ••

ماذا أقول ياميمى •• ياغصنا ذوى قبل الأوان ، وعوداً غضاً احتضر وهو فى الريعان،وليس فى مقدور اللسن ، أن يأسو جراح الزمن ، وهل يجدى القول فى دموع تفيض بها العيون ؛

وزفرات تتردد فى الأفئدة، وأحزان تتفتت من هولها الأكباد..

إن مصابى فيك لاينفع فيه البكاء، ولا تخفف من وقعه كلمات العزاء، لأنه مصاب فادح أصاب الصميم، وتغلغل إلى أعماق قلبى، فأودعه أشد الحسرات والآلام ..

« ميمى » ... لقد قسا عليك الدهر، فخاربك بسيوفه الماضية، وتنكر لك الزمان، فسلط عليك آلامه العاتية، ثم أوحش الدنيا منك لتنيرى قبراً أنت زينته، وتعمرى مكانا أنت بهجته ..

« ميمى » لهفى على عادتك، وأحلامك . لهفى على أمانيك وآمالك . لهفى عليك ياشهيدة الاخلاص . وياضحية الوفاء ! .

أيتها الفتاة البريئة الطاهرة. سلام عليك فى سكونك الأبدى . سلام عليك فى قبرك السرمدى . سلام عليك فى جوار الله . وفى كنف رحمته .

وأنت أيها القبر كن رحيما بها .

وأنت أيها الظلام كن نوراً لأجلها .

وأنت أيتها الوحشة كونى أنسا لها ..

وهنا لم أتمالك نفسى من شدة الهم، والحزن فسرت هائما كالمجنون لا ألوى على شىء، وهكذا كنت أزورها يومياً لأنثر الدموع على قبرها، ولأستمطرها من الله الرحمة، والرضوان ..

(٣٨)

خداع البصر

على مسافة قصيرة من الـكيت كات . منزل قديم متهـدم، تحوطه حديقة مهجورة ، وبينما كنت أتأمل أعشابها الجافة ، وأشجارها اليابسة . رأيت رجلا يدنو من بعد وبجواره فتاة تتمايل ذات اليمين،وذات الشمال، وما كدت أتميزهما، حتى جن جنونى إذ وجدتهما « زيزى » وذلك الشخص الذى كان يقبلها ليلة التمثيـل . . . غاب لبى،وذهب عقلى فعولت على الانتقام ، وقفزت اليهما كالأسد الهصور ..، وما كدت أمسك «زيزى» حتى صرخت قائلة ارحمنى من هذا الوحش ياحسن ..

فقهقهت قهقهة المجانين ، وقلت أجل ... أنا وحش . ولابد أن أنتقم منك ومنه أيتها الفاجرة . . . لابد من الانتقام أيتها العاهر ، ياخائنـة العهد ، يا كاذبة الحب .. ثم أمسكت بعنقها وطرحتها أرضا قائلا ، والآن أيهـا الحسن تقدم لأريك من أنت لأريك كيف تسرق القـلوب ، اقتنصت منى « زيزى» وتركتنى عرضة للهموم والأحزان . جعلتنى مجرما أثيما ، وقاتلا شريراً فلا بد من اقتناص روحك ...

ثم هممت اليه ، ولـكنه جثا تحت قدمى يسترحمنى قائلا . .

كلا ياسيدى انها لم تكن « زيزى » ... هى زوجتى منذ سنين ست ..:.

بربك اخص عن ملامحها جيداً ليتبين لك مقدار خطئك .. فركلته بقدمى،وقلت له ماذا تقول؟.. أفصح؟.. فقال هى زوجتى وكفى ...

دهشت لهذا الحادث فتقدمت نحوها ، وشخصت إلى ملامحها فصعقت لقوة مشابهتها « لزيزى » تلك الفتاة البريئة الطاهرة .. وندمت على سوء ظنى بها ...

ثم انصرفت بعد أن قدمت اليهما أجل المعاذير ...

(٣٩)

المذكرات

هذه مذكرات دبجتها يراعة « ميمى » ، وخلفتها فيما خلفت من تراث ، وقد أقتسم تراثها أناس كثير ، وكان من نصيب « سوسو » تلك النفحات الزاهرة التى أنارت عدة مواقف من هذه الرواية ، ولا عجب ، فقد صاغتها نفثة قوية من قلب طافت به فواجع وآلام كان منها أن انبجست نفسها بما أودع فى هذه المذكرات

(المذكرة الأولى)

لله كم شعرت بدوار عندما أمسكت قلمى لأسطر على صفحات هذه المذكرة ما آل اليه أمرى ، بعد ما سددت الى الشجون سهامها ، وأكلت فؤادى بسعير أوارها

آه !! ما هذا الانقباض الذى انتابنى، وماهذا الشعور الذى يخالجنى ، وما تلك الصور التى تغدو، وتروح أمام مخيلتى إلا واحدة منها

لاشك انها صورة « سوسو » ذلك الملاك الذى نال اعجابى وأسلس قيادى

(المذكرة الثانية)

دعيت اليوم لحفلة راقصة بفيلا (؟ .. ؟) ولا أخال نفسى إلا سعيدة بتلبية هذه الدعوة لاسيما أن « سوسو » فى مقدمة المدعووين

أخذت زينتى، والشوق يدفعنى لرؤيته ، والحب يجذبنى لمحاصرته، حتى تلمست مكانى من الحفلة ، وعينى شاردة باحثة عنه إلى أن رأيته محاصراً فتاة يراقصها ويراقصه ، فخبا الضياء فى عينى ، ولم أشعر إلا بنار تأججت بين ضلوعى ، واستقرت فى فؤادى

ما هذا ؟ أحب أصابنى فى الصميم ؟ كلا فسأوقام هذه العاطفة

الجارفة ، وسأعمل على طردها ، ولكن أرانى قد ضعفت أمام هذه الفكرة لأنه الشخص الذى يلمسه قلبى ، ويحتويه ، فلزمت مكانى ، وقد تولانى الجزع ، وتملكنى الأنين والتوجع مما فجعت من هذا المنظر ..، ولكن سرعان ما إنقشعت تلك السحب التى غشيتنى ، وتبددت غيوم الأفكار التى تولتنى عند ما أولانى سوسو من إقبال ، وأخذ يقرب بينى وبين تلك الفتاة التى نازعتنى « حبيبى » وكم كانت رشيقة إلا أن حبى إياه أثار حقدى عليها ، وغيرتى منها شأن كل فتاة

إنقضت الليلة وكنت أنا عروسها ، بعد أن راقصت « سوسو » وشعرت بأن قلبه يدق على قلبى ، فداهمتنى نوبة حبه وأصبحت لا أرى ضياء النور إلا فى وجهه ، ولا معنى الجمال إلا فى سحر عينيه فيزداد قلبى خفقا وتهتز مشاعرى سرورا ، فمتى يأتى الغد لنتلاقى فى الحديقة ، ونسعد بالحب حيث وعدنى اللقاء

(المذكرة الثالثة)

يالتلك الصدمة العنيفة ، ويالهذه الخيبة الأليمة ، لقد كنت مخدوعة عندما ظننت «سوسو» يحبنى ؛ فقد اضمحلت ظنونى ، وتواريت أحلامى ، وحقا ان حبى إياه جعلنى لاأخص حبه إياى ، ولكن فوق ذلك يحب : أجل يحب ! . يحب زيزى ويتغنى

بوصفها ، ويترنم بحديثها ؟

من هى تلك الفتاة التى شغلت قلبه وملأت فراغه . من هى التى ينزلها منزلة القداسة اجلالا وعبادة ؟ . من هى حتى يفتتن بها ويحافظ على ودادها رغم هجرها ، وصدودها ؟

انى أخالها ليست منا ، فهى ملاك رفرف عليه ، فألهمه الحب ، وأنار له طريق الغرام ، فكيف لى،وأنا الضعيفة أمامها أن أصبو إلى ما صبت اليه ؟ لاشك بأننى سأموت حسرة وكمدا

(المذكرة الرابعة)

رأيت اليوم « زيزى » ، وكانت جميلة رغم الهزال الذى بدا على وجهها ، وجسمها ، وهى تدنو من «سوسو» فى الحديقة، فارتجفت ركبتاى ، وخارت قواى ، ولم أعد أستطع الصبر ، والثبات ، وكم قاسيت من ألم الغيرة ، ومر العذاب عندما وجدتها تثنى على بصرها مستطلعة من وجهى الرحمة، والشفقة

كثير على ضعيفة مثلى ان ترى عدوتها أمامها،ومنافستها بين أحضان حبيبها ، فتركت الحديقة ، بعد ماعبست السماء فى وجهى ، وتجهمت الحياة فى عينى ؛ وسرت وأنا غائصة فى لجج من الهواجس ، والهموم إلى أن وجدت نفسى ملقاة على فراشى مستسلمة لما يعتصم به المكروب عند شدته من توجع وتلهف .

رباه : انها حسناء ولها من العشاق كثير ، فلم تقتنصه منى ؟ ، وتدمى قلبى ، وتمزق فؤادى . ألم ترحم تلك الروح الهائمة ؟، ألم تشفق على نفسى الواهلة ؟، ولكن هيهات أن تضحى بقلبها وحبها ، فاحتملى ياميمى الشقاء ، وكونى أنت الضحية لهذه المأساة الغرامية !

(المذكرة الخامسة)

اليوم سأسافر فرحة مغتبطة ، وقد ظفرت بحب سوسو ، وتذوقت منه شرابه ، وماذا يخيفنى من «زيزى» الآن ؟ وقد أصبح لا يميل اليها بل يكرهها ويمقتها ؛ ان قلبى يكاد يفيض من السعادة التى أشعر بأنها رياض أجول فيه ، وأتنزه أما «زيزى» تلك الفتاة المسكينة ، فقد فقدت كل عطف من سوسو ، وقد كانت تسعد لسماع حديثه ، وتنعم بطيب جواره من قبل

أجل إنها مسكينة لأن الحب نار تصلى الأفئدة .. فعزاء لك أيتها الفتاة البائسة . إننى أرثى لحالك ؛ وقد كنت من قبل أحسدك ، إننى أشفق عليك ، وقد كنت من قبل أود هلاكك فاللهم أوزعها الصبر ، والهمنى التوفيق

(المذكرة السادسة)

بعد عودتنا إلى القاهرة ذهبت أنا ، ووالدتى إلى إحدى

صديقاتها ، وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث ، إذ سمعنا الأنشودة المشهورة (بالك مع مين ياشاغل بالى) بصوت شجى أطربنا ، وأسكرنا ، وبالرغم من تلك النشوة التى غلنا بها ، وجدنا السيدة المضيفة تذوب هما وكمدا ، وبعد فترة استنزفت فيها دموعها نظرت الينا قائلة ، وهكذا تمضى إبنتى وقتها فى الهذيان فاللهم نجها ...

دخلنا على المريضة فأمسكت عن الغناء ، ثم قالت ان هذه الأنشودة جميلة جداً وكثيرا ما كان يحبها حبيبى سوسو.. أليس كذلك يا أماه ؟ .

فما كدت استمع منها ذلك ، وأتميزها جيدا ، حتى عرفتها هى « زيزى » ! نعم « زيزى » فما أشقانى . وما أتعسنى .

وقفت أمامها جامدة مشدوهة . أرمى ببصرى إلى السماء أستمطر الرحمة من رب العباد ، وما زلت على حالتى هذه ، حتى سمعت المريضة تقول

لقد سيطرت على نفسك . حتى تركتنى فريسة الآلام هدفا للأسقام .. انى أحبك يا « سوسو » لأنك قلبى الذى لا أحيا إلا به : حبيبى أظننت يوم بعدت عنك بأن هذا صد منى وقطيعة ؟ كلا وانما هو الاستبداد . وظلم الانسان لأخيه الانسان .. حقا لقد أراد عمى أن يزوجنى من ذلك العبد الأسود الذى رأيته ولكن كيف يحلو لى العيش . وأنا بعيدة عنك ..! ويحك ! أما

زلت لاتصدقنى ؟ اننى عذراء نقية . . « سوسو » بربك تمهل ولا تذهب ، ومدت يدها فى الفضاء متوسلة تعالى ياحبيبي تعالى . فقد نسيت أن أخبرك بأننى كنت سجينة فى منزله لا أستطيع رؤية أمى ، فكيف لى أن أراسلك ! آه ! مسكينة أنا لقد ذهب ولم يعد يعبأ لتوسلاتى . ولم يشفق لزفراتى . ذهب ولم يعد .

ثم دارت وجهها بين وسادتها باكية . فتأثرت لحالها . واستحالت نار غيرتى إلى رماد . فأخذت أحن اليها وأشفق عليها ثم بكيت من أجلها . ففاجأتنى قائلة ما الذى يبكيك ياصديقتى العزيزة . ان بكائك يفتت كبدى ويدمى قلبى ثم كفكفت دموعى بمنديلها

وأخيراً عدت ، وما زال صدى صوتها يرن فى أذنى . فارحمها ياربى

(المذكرة السابعة)

ما هذه العاطفة التى تملكتنى . وما ذاك الشعور الذى خالج نفسى . لقد كنت أظن اننى سأجنى من شقاء زيزى راحة ومتعة . وسأتفيأ من ذلك ظل السعادة الدائمة . ولكن أنى لى ذلك . فكيف أسعد فى شقائها . وأترنم على أنينها إلا اذا كنت « نيرون » الذى أحرق روما ليمتع طرفه بمنظرها .

حقاً إننى مجرمة ، فأنا التى طغيت عليها، وسلبت حبيبها منها وهى لم تذنب ، ولم تهف أى هفوة ، غير كلفها به ، وولعها بحبه، فمعذرة أيتها الفتاة الطاهرة ، فسوف أضحى بحبى على مذبح التضحية عل ذلك يكفر عن ذنبى نحوك .

(المذكرة الثامنة)

عدت زيزى اليوم ؛ وبينما كنت أشاهد حركاتها ،وأراقب سكناتها هبت من مرقدها ؛ وأخذت تتفرس فى ملامحى ثم ما لبثت أن صاحت

آه ! أنت ! أنت ! لقد عرفتك !

وأشارت الى ، فدنوت منها ، فسألتنى بذلة ، وإنكسار ، وبصوت متهدج كيف حال « سوسو » يا ...

فذكرت لها إسمى ، فقالت يا « ميمى » وبعد أن أجبتها قالت أريد أن أراه ياصديقتى لأننى أصبحت أتراءى شبح المنية ، واذا لم أنل بغيتى ؛ فقومى دائما على سروره ، وعيشى بجواره لتسرى عنه آلامه ؛ وتطاردى عن جيوش أشجانه ؛ وأحزانه . . قولى له أن زيزى التى عاشت طول عمرها تحبك ستموت مؤمنة بحبك لاتدين إلا به . . ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول يالشقاء ويالتعاسة

لقد تقطعت نياط قلبي ، وانصهر فؤادى من شدة الألم

فوالهفى عليك يا « زيزى » ياءثال الطهر ، والوفاء . « زيزى » لاتجزعى فان غيوم البؤس التى تلبدت فى جو حياتك لم تعتم أن تنقشع . سأريك « سوسو »، وسأعمل على التوفيق بينكما. فقالت شكراً لك ياميمى فاست أريد ذلك ؛ ولا أبغى أن أطارحه الهوى وإنما أحب أن أراه ، وأكون بمثابة الخادمة لا بمنزلة العاشقة فليس لى منية أكثر من ذلك ، ولا أرقب فى أفق الحياة إلا الشقوة

ثم أخذت حنجرتها تزدحم بالسعال ، وهى تتأوه ، فدنوت منها ، وقلت مايؤلمك ياعزيزتى، فقالت آلام وغصص واضطراب لايعرف مداه ؛ وكان صوتها رقيقا التقى فيه كل مابقى فى قلبها من حب وشفقة

وبعد ما نضب معين دمعى تركتها

(المذكرة التاسعة)

لقد كانت علة « زيزى » من العلل المريحة التى تقتل ذريعا، أو ترحل سريعا ، فانه لم يمض على مرضها أسبوع ، حتى أبلت منه تماما ، وبالرغم من عقدة الاخلاص التى تأكدت بيننا ؛ وجدت أن ماكنت أكنه لها أخذ ينمو، ويترعرع مرة ثانية فى نفسى ؛ ولم أتبين ذلك إلا عند ما زارتنى اليوم

لقد كانت جميلة تفوقنى حسنا ، وجمالا ، تخاطبنى بلغة

العيون ، وتسامرنى بلغة القلوب ، وما زلنا على ذلك حتى أخذت الغيرة تدب فى نفسى ، وتسرب الحقد إلى قلبى ، وكم كانت قاسية وقت أن سألتنى عن قلب « سوسو » قائلة . ردى إلى «سوسو» يا « ميمى » لأنه زهرة حياتى ، فارحمى بؤسى وارثى لضعفى .. ثم إنطلقت إلى صورته ، فأنتزعتها من مكانها ، ونظرت إلى وهى تقول . هاهو حبيبى قائم معك . هاهو قلبى يزين غرفتك هاهو فؤادى ينير وحشتك

حاولت أن أتكلم ، فعقد لسانى ، فوقفت أمامها فترة شعرت فيها أن بدر سعادتى قد أظلم ، وأن أيام هنائى قد تحولت إلى شقاء ، فقلت لها عبثا تحاولين ، لقد وهبته قلبى ، ولا يمكننى أن أسترده منه حتى الموت ..

ما كادت تسمع منى ذلك ، حتى سقطت على الأرض ، وأخذت تزحف بقدميها ، والدمع يفيض من مقلتيها إلى أن أمسكت بأذيالى ، وهى تصيح من صميم فؤادها « ميمى » إرحمينى . اننى أهواه ، وأحبه حبا يكاد يذهب برشدى . فقلت ويلاه انها تطلب منى المستحيل فنظرت إلى ، وقالت إذن سأتركه لك يا « ميمى » ، وسأضحى بنفسى حتى لا أرعجك مرة أخرى . لن ترينى أيتها الصديقة بعد اليوم ، وانصرفت ، ثم تركتنى وأنا بحالة يرثى لها حتى مطلع الفجر أرعى النجوم مؤرقة

(المذكرة العاشرة)

علمت اليوم أن « زيزى » سيئة الحال ؛ وأن الغيرة أخذت تشفها ، وقد أرسلت إلى اليوم تستعطفنى لترى «سوسو» ولكن هيهات أن أصغى لتوسلاتها ، فقدقاومت عاطفةالشفقة لأن حبه أضنانى ، وسلبنى كل عاطفة غير عاطفته

حقيقة إننى كنت قاسية الى آخر حدود القسوة ارضاء لقلبى وابقاء لحياتى ، فمغفرة يازيزى ، ومعذرة يا آلهة السماء ، فلقد كان كيوبيد إله الحب ،وهو واحد منكم سببا لهذه الخطيئة، وكنت أنا آلة لارتكابها

(المذكرة الحادية عشرة)

انحرفت صحتى ؛ وهزل جسمى ، وقد زارنى «سوسو» رغم نصيحة الطبيب باعتكافى ، ووجوب وحدتى ؛ وكم جدد من قواى ، وأحيا فى نفسى ميت الآمال ، ولكننا بكينا . نعم بكينا ، ولا نعلم مصدر هذا الشعور الذى حدا بنا إلى البكاء ، ونحن فى متعة الحب ، وهناءة الغرام

إننى أشعر بأن المرض يتمشى فى جسمى تمشى النار فى الهشيم ، وأخشى أن لاأهنأ بحبه ، ولا أنعم بجواره ، بل ربما يكون خوفى محققا إذ أن « توسكا » قطتى المحبوبة ذبلت ، وأصبحت على أبواب الفناء . وهذا برهان على نذير فنائى

ومبدأ آلامى . . . فهى الرفيقة فى وحدتى ، والأنيسة فى وحشتى .

ما الذى أصابها ، وهى بعيدة عن متاعب الدنيا ، وآلامها؟ أأصابها مثل ما أصابنى فى قرارة نفسها ، فتبدل صفاءها وتغير بهاؤها ؟ .. « توسكا » حبيبتى التى طالما رأيت فيها سلوة لقلبى ، وتهدئة لشجونى تموت ؟

مسكينة ، لقد قاست من آلام الدهر ، وقسوته مثل ما نلته ، فنحن فى الآلام صنوان

رباه ! ماهذا الألم الذى أشعر به ؟ انى أصبحت مهدمة ، وأشعر بأن ملك الموت فى طريقه الى . أجل إننى سأموت ، فلا بد من استدعاء زيزى لأستغفرها ذنبى

ماذا أريد من الحياة الآن ، وقد قاسيت منها أوصابا وأوجاعا ، وجرعتنى البؤس ، الوانا ؟ ماذا أريد منها ، وقد استطبت الموت لنفسى ، واستمرأت الفناء لروحى كلا لاأريدها ! فالوداع أيتها الحياة القاسية ، والوداع أيها الحب المضنى ، والوداع أيها الحبيب المعذب .

وأنت يا أماه ، لاتحزنى ، ولا تتألمى عند ما ترين إبنتك تموت لأنها ستقدم على الموت بعد ما سعت اليه مرة فأخفقت ، ستقدم على ذلك بعقيدة ثابتة ، ووجدان هادىء ، فالوداع

(المذكرة الثانية عشرة)

كلا . سوف لاأموت مطلقا ، وسوف لا أحرم من حب «سوسو»سا عيش بالقرب منه رغم وعدى « زيزى » ، ولكن مالى أراهم يستدعون الأطباء ولم يعودنى إلا طبيبى الخاص ؟ مالهم صامتين واجمين ؟ مالهم يهمسون . لابد وأنهم شعروا بقرب منيتى . اصفحى عنى يازيزى فها أنذا سأفى بوعدى . وأغادر هذا العالم الى العالم الآخر . اصفحى عنى بربك لأموت هادئة . لا بل كونى قاسية . كما قسوت عليك من قبل . يوم أن عذبتك ، ولم أصغ لسماع صرخاتك ، يوم أن سلبتك بهجة فؤادك . يوم لم أرحم بؤسك ، ولا شقائك . لاترحمينى فقد كنت بالأمس لا أرحم .

وأنت يا«سوسو» تذكر قديم ودادك « لزيزى » وطويل هجرانك لها وجميل صبرها !

تذكر انك تركتها عصارة سلبت حلاوتها ، وعذوبتها . تذكر ذلك لتمضى فى سبيل احيائها . «سوسو» اننى أصبحت صورة لاجسداً و«زيزى» تنتظرك فهى أحق منى . « زيزى» تلك الفتاة الطاهرة التى تستحق منك كل عطف ومحبة . عد اليها بربك عد الى ملاك الاخلاص . عد الى تلك الفتاة الجديرة بحبك والتى كانت تبكى دما من أجلك .

حبيبي لقد أوشك أن تصعد روحي الى بارئها فتى تحضر يا « سوسو » لتسقيني الدواء بيدك ففيه شفائي . متى تحضر لترى كيف تموت حبيبتك فتصفح عني . متى تحضر لأنال منك قبلة الوداع

أما أنت يا « زيزى » فعيشي سعيدة هادئة، وترحمي على دائما ترحمي على من ضحت بحبها لتسعدك . ترحمي لمن أضنت نفسها لتبقيك . ترحمي على من أضاءت لك سبيل الحياة ، وانطفأت كالسراج

وأنت أيها العالم المنكود لقد اعتزمت الانتقال من متاعبك الى دار الراحة والخلود

(٤٠)

وخز الضمير

ما كدت أتلو تلك المذكرات، حتى تبينت جرمي نحو ميمي ، وذنبي نحو « زيزى » فشعرت أن السماء قد انطبقت على الأرض ، وأن الجو قد اكفهر . وأن الزعازع قد عصفت . وأحسست في قرارة نفسي أني شخص تعس لفظته المقادير . وغضبت عليه الأيام والليالي ...

دخلت غرفتي الخاصة بقلب يخفق . وأحشاء تضطرب . وفرائص ترتعد ...

دخلتها وقد امتلأ رأسى بالأفكار السوداء ، وتجلى أمامى شبح الموت ، وخيال الفناء ، فتطلعت الى السماء لتمطرنى رحمتها ، وتدر على رأفتها ، ولكن بصرى ارتد خاشعا الى الأرض ، وكأنه ينذرنى بقرب الفناء

فعفواً يا «زيزى» فقد كنت قاسيا فى حكمى ، أثيما فى ظنى ؛ لذا شأ كفر عن خطيئتى بمسدسى

من سوسو إلى زيزى

« زيزى » أيتها الفتاة الطاهرة ، لقد علمت الحقيقة ، وسأمحو خطيئتى بالدم عسى أن يغسلها ، وها هوذا مسدسي سألهب به رأسى مصدر هذه الثورات ، وملتقى هذه الأفكار على مرأى ومشهد من ميمى

سوسو

(٤١)

فى طريق القبور

بينما كنت أزور قبر ميمى لأسكب الدمع السخين ، وأرثيها بالحنين والأنين تذكرت تعاستى وشقوتى ، وخيبة آمالى فعزمت على الانتحار ، وما أحلى هذه الكلمة لمن حاله كحالى ، وقفت أناجى نفسى ، وأطلب الغفران من ربى ، وقد علا وجهى

الشـحوب والاصفرار ، وامتـلأ فؤادى حزنا ، وفاض قلبى أسى ، وصحت : —

... رباه لقد صبرت حتى عيل صبرى ، وتجرعت كئوس الآلام حتى الثمالة فكانت كلها علقما مريرا . . .

أجل الحيـاة عزيزة غالية . . ولـكن الموت أهنأ منها.. فيارب من لى برحمتك وغفرانك ...

لقد عذبتك ثم قتلتك يا « ميمى » ، فهأنذا أقدم نفسى فدية ، وأبذل روحى ضحية لتلك الجريمة ؛ وشـقوتك يا « زيزى » وافتريت عليك . . وأنت أطهر من الطهر ، وأنقى من النقاء ، أنت مثال العفة ، وعـلم الشرف ، فوداعا أيتهـا الحياة الفانية وداعا غير آسف لفراقك ، فانت وكل من فيك وما فيك الى زوال .

وأنت أيتها النفس المعذبة لاتجزعى ، ولا تحزنى فكل نفس ذائقة الموت ، وهذه حياة لاتستحق الأسى ولا الحزن لفراقها ، حياة كانت كلها شقاء ومتاعب ، وكنت فيها هدفا لسهام المصائب والنوائب ، حياة قست على أيامها فقصمت ظهرى . وحاربتنى سويعاتهـا فأدمت قلبى ؛ وعاندتنى صروفها فأجرت دمعى ؛ فكنت بين نفس تتعذب . وقلب يتألم . وعبرة تسـيل حياة لايغتر بها ويفتن بزينتها الا من ضعفت عقولهم ، وصغرت أحلامهـم ، وقصر نظرهم ، وكلما ازددت بها ولعا ازددت فيها

هما وتعبا .. ماذا رأيت فيك أيتها الحياة ؟ لاأذكر يوما هدأ فيه بالى أو سكن روعى، أو استراح ضميرى ؛ لقد ذقت العذاب ألوانا ، والهم أشكالا ، ماذا رأيت فيك أيتها الحياة، وماذا لك على من فضل ؟ أتمنين على بليال قضيتها ساهرا ، يبلل الدمع مضجعى ، أم بأيام تعسة تجرعت فيها مر العذاب؛ وعلقم اللوم .. أهل يقرعوننى ، واصدقاء لايشفقون على ، ولا يرحمون من أضر به الهوى ، وألم به الهيام، لاخير فيك أيتها الحياة وهذا حالك وذاك مآلك

ثم أمسكت بمسدسى وصوبته الى رأسى، فأظلمت الدنيا فى وجهى، فلم أر فى ارجاء المقبرة غير ظلام دامس، وسكون هادىء . أمسكت به لأنه عزائى الوحيد الذى يمحو متاعبى، ويريحنى من سلسلة آلامى ، وأحزانى التى لاتنقطع . . ثم قلت

«ميمى» هاهى ذى روحى ستصعد الى السماء لتشفى غليلها برؤيتك ، وتطفىء حر لهيبها بلقائك ...

وأنت يازيزى : يامن اشقاك لسانى ، وجرح عواطفك سوء ظنى . هأنذا أكفر عن ذنبى . . . واغسل خطيئتى بدمى . .

وداعا يا أهلى . وداعا يا احبائى . ويا اصدقائى ...

وانت أيها المسدس كن رحيما بى ، شفيقا على ، ولا تتمهل

فى قتلى.. حتى لاتشتد آلامى أو تتضاعف همومى وأحزانى

ها أنت أيها المسدس . ستودى بى كما اوديت أنا بميمى ... ستودى بحياتى فى مقتبل العمر وريعان الشباب . فما أقساك ـ وما اقسانى على نفسى ؟؟ لكن الوفاء عهد يجب الاينقضه الجبن.. وميثاق لايوهنه التردد والهزيمة ...

(٤٢)

رسول الحياة

وقبل أن تعبث يدى بتحريك « المسدس » أحسست بيد تقبض على يدى، ثم بصراخ يدوى فى ارجاء المقبرة « سوسو » . « سوسو » . حبيبى

أخذت أجول بعينى فى تلك الظلمات الحالكة ، حتى أبصرت شبحا ماثلا امامى فجمدت فى مكانى، وقف شعر رأسى؛ وارتاع قلبى ؛ وقلت من أنت أيها الشبح، فاجاب بصوت رقيق، أنا رسول الحياة يا « سوسو » فقلت من أرى ؟ من أنظر ؟ زيزى ؟ .. آه انت زيزى من الذى أتى بك فى هذه الساعة الرهيبة . بربك ابتعدى ولا تقربى منى فانى لا أود الحياة ، ولا أطيق صبرا عليها . . بطن الأرض خير لى من ظهرها . . . زيزى . ابتعدى عنى فقد فضلت الانتحار وآثرت احتمال وصمة العار

الشائن تكفيرا عن جرمى ، فأنا المذنب . أنا الذى أهنتك فى شرفك. أنا الذى هجرك وأشقاك . أنا كل اولئك . . فدعينى اقتص من نفسى بنفسى ، وأنل حتفى بظلفى ...

فاغرورقت عيناها بالدموع قائلة والأسى يقطع عباراتها . لاتمت يا «سوسو» رفقا بمن أضناها حبك، وسحق فؤادها غرامك، ثم أخذت تتوسل الى بعبارات تذيب الجماد ، وتفتت الصخر ، ولكن لم أصغ لتوسلاتها ، ولم أعبأ بتأوهاتها ، وهممت باطلاق الرصاصة فانبعثت تدوى فى انحاء المقبرة ... ولهزات يدى لم تصب المرمى، فقبضت بيديها على المسدس وحولته عنى، وصاحت تستعطفنى ، وصرخت تسترحمنى ، عش لأجلى يا «سوسو» ، وارحم ضعفى يا كل أملى ، فموتك موتى ، وفناؤك فنائى ، وكيف أعيش بدونك . . أو أحيا بغيرك . . أنا الضعيفة بشخصى القوية بك ، البائسة بنفسى السعيدة بحبك ، أنت حياتى ، أنت روحى ، انت كل آمالى ... ثم استولت على المسدس من يدى ، فخارت قواى ، وتراخت عزيمتى ، وارتميت على الأرض قائلا . . لماذا يازيزى تشقينى ؟ . . دعينى أمت .. فقد مللت الحياة . دعينى أودع هذا العالم فقد سئمت نوره ، وكرهت ديجوره ، دعينى أرحل عن هذه الدار حتى لاتقع عينك على من عذبك واهانك . دعينى ... دعينى .. ثم خنقتنى العبرات فلم أستطع الكلام ، واسترسلت فى بكائى ونحيبى .. فارتمت على وقالت . .

وكانت هذه الساعة خاتمة الألم والشقاء ،
وبدأ السعادة والهناءة والصفاء

obeikandl.com

كلا هذا لن يكون ... فأنت أملى وراحتى .. انت الحياة التى أرجوها .

« سوسو » . لماذا تروم تعذيبى من بعدك ؟ بربك اشفق على وارحمنى وهيابنا فالهناءة تنتظرنا ؛ والسعادة تفتح ذراعيها لاستقبالنا وبينما نحن كذلك وإذا بشبح ميمى يلوح لنا ويدنو .

راعنى ذلك، فركعت أمام شبحها قائلا اصفحى عنى ياميمى ثم هممت لأضمها، فما وجدت شيئا فنظرت الى «زيزى»، وقلت لها خلصينى ياحياتى خلصينى، فجذبتنى اليها خارج المقبرة وقالت «سوسو» ، فأجبتها « زيزى » ... وفى هذه اللحظة دنت منى فطوقتها بذراعى وأنا أقول زيزى فاجابت حبيبى ... وما زلنا كذلك حتى زفتنا الأطيار بنغماتها ، وأنارت الشمس لقائنا بضيائها ، وكانت هذه الساعة خاتمة الألم والشقاء ، ومبدأ السعادة والهناءة والصفاء

استدراك

أقدم لشركة براموونت بفرنسا وافر الشكر لما أدلتنى به من صور حليت بها روايتى كما وأنى أثنى على حضرة الاستاذ محمد محمود دبا للهمة التى أبداها فى تصحيح الرواية

المؤلف

obeikandl.com